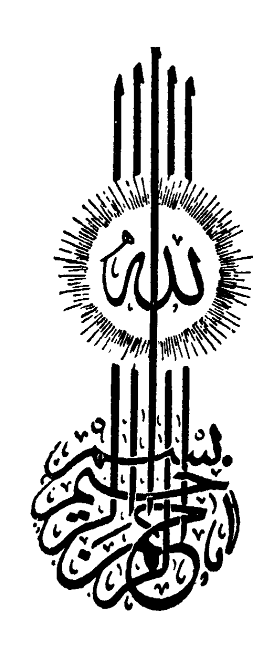
تاريخ الروس

من خلال المصادر العربية

دكتورة
ليلى عبد الجواد إسماعيل
كلية الآداب ـ جامعة القاهرة

١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م

دار الثقافة العربية
٣ ش المبتديان ـ القاهرة



مقـــــــدمة

الروس شعب عرفه العرب منذ بدايات القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى واهتمت مصادرهم العربية بالحديث عن تاريخ هذا الشعب ، وألقت أضواء ساطعة على أصله ، وطبيعة البلاد التى عاش بها ، كما أمدتنا تلك المصـــادر بمعلومات طيبة عن قيام دولة كييف ، ونشاط الروس الحربى فى منطقتى بحر قزوين والبحر الأســود ، ونظام الروس السياسى ، وديانتهم ، ومظاهر حياتهم الاجتماعية ، هذا الى جانب حياة الروس الاقتصادية بمظاهرها المختلفة من زراعة وصناعة وتجارة ، كذلك أشارت المصادر العربية الى هجوم المغول على بلاد الروس وما أحدثوه بها من تخريب وتدمير منذ القرن الســـابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى •

هذا فى الوقت الذى أغفل فيه الأوربيون الحديث عن هؤلاء الروس ، حقيقة أنه يوجد لدينا كتابات المؤرخ الروسى نسطور Nestor — الذى كان يعيش فى كييف عام ٨٠٠ م ، ولكن كتابات هذا المؤرخ تناولت الحديث عن السلاف والفرنج والبيزنطيين وغيرهم من الشعوب دون أن تتوسع فى الحديث عن الروس ، ودون أن تضىء جانبا واحدا من جوانب حياتهم ، التى ألقت عليها المصادر العربية أضواء ساطعة • ومن هنا تظهر أهمية المصـــادر العربية فى معرفة الكثير من أخبار الروس وأوجه أنشطتهم المختلفة كما سيتضح فى هذه الدراسة •

وأرجو الله أن أكون قد وفقت فى عرض هذه الدراسة •

وعلى الله قصد السبيل •

د• ليلى عبد الجواد اسماعيل

القاهرة فى ١٢ ربيع الأول ١٤١٠ هـ

١٢ أكتوبر ١٩٨٩ م

أصل الروس من خلال المصادر العربية :

ان أول اشارة عثرنا عليها فى المصادر العربية عن الروس جاءت على لسان اليعقوبى عند حديثه عن الأندلس ، ووصف مدن هذا الاقليم اذ يقول : « وغربى المدينة التى يقال لها الجـزيرة مدينة يقال لها أشبيلية ... دخلها المجوس الذين يقال لهم الروس سنة ٢٢٩ هـ فسبوا ونهبوا وحرقوا وقتلوا »[١] .

ويؤكد اشارة اليعقوبى هذه ما ذكره المسعودى حينما قال :

« وقد كان قبل الثلثمائة ورد الى الأندلس مراكب فى البحر فيها ألوف من الناس أغارت على سواحلهم ، وزعم أهل الأندلس انهم ناس من المجوس تطرأ اليهم فى هذا البحر كل مائتين من السنين ... وأرى والله أعلم ... أن هذه الأمة هم الروس ... اذ كان لا يقطع هذه البحار ... غيرهم »[٢] .

كذلك ذكر ابن حوقل فى معرض حديثه عن بلاد الأندلس وبحر أوقيانوس : « وربما طـرقه فى الأحايين مراكـب الروس والترك والصقالبة ... فانكوا فى أعمال الأندلس وانصرفوا خاسرين »[٣] .

يتضـح من الاشارات السـابقة التى ذكرها كل من اليعقوبى والمسعودى وابن حوقل انه يقصد بالروس هنا النورمان أو أهل الشمال الذين ذكرتهم المصادر العربية الخاصة بتاريخ الأندلس باسم المجوس[٤]

---

(١) اليعقوبى ، كتاب البلدان ، ليدن بريل ١٩٦٧ م ، ص ٣٥٤ .

(٢) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ ١ ، بيروت ١٩٨٧ م ، ص ١٦٣ .

(٣) ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ليدن ١٨٧٢ م ، ص ١٨٥ .

(٤) من أهم المصادر التى أطلقت عليهم اسم المجوس : المقرى ، نفح الطيب ، جـ ٣ ، مصر ١٩٣٦ م ، ص ١٢٠ — ١٢١ ، ١٣٤ — ١٣٥ ، ابن عذارى المراكشى ، البيان المغرب ، جـ ٢ ، بيروت ١٩٥٠ م ، ص ١٢٩—١٣٢ ، ١٤٥ — ١٤٦ ، ٣٦٠ ، ٣٥٦ ، كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الآثار ، تحقيق الاهوانى ، مدريـد ١٩٦٥ م ، ص ٩٨ — ١٠٠ ، ١١٨ — ١١٩ ، ابن القوطية ، افتتاح الاندلس ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، بيروت ١٩٨٢ م ، ص ٧٨ ، ٨٠ — ٨١ .

وباسم الاردمانيين(٥) الذين شـنوا العـديد من الاغارات على بلاد الأندلس فى أعوام ٢٢٩ هـ ، ٢٣٠ هـ ، ٢٤٥ هـ(٦) .

ومن الجدير بالذكر أن اسم النورمان كان يطلق أوائل العصور الوسطى على مجموعة الشعوب التى سكنت شبه جزيرة اسكندناوة وحوض البحر البلطى(٧) وتعرف هـذه الشـعوب باسـم الفيكنج Vikings (٨) .

وعرف البيرونى الكثير عن البحر البلطى وعن سكان شمال وشرق أوربا وخاصة هؤلاء النورمان الاسكندنافيين الذين لا يدعوهم لا باسمهم المعهود فقط وهو الروس بل باسم الورنك أيضـا (أى الفارنجيين Varêgues) كما جاء فى كتابات المؤرخ الروسى نسطور Nestor (٩) .

---

(٥) ومن اهم المصادر التى اطلقت عليهم اسم الاردمانيين : ابن حيان القرطبى ، المقتبس فى اخبار بلد الأندلس ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، بيروت ١٩٦٥ م ، ص ٢٣ — ٢٧ .

(٦) لمزيد من التفاصيل عن هذه الاغارات انظر : حسين مؤنس : « غارات النورمانيين على الأندلس » ، مقال بالمجلة التاريخية المصرية ، العدد الاول ، م ٢ (مايو ١٩٤٩ م) ، ص ٢٤ وما يليها .

(٧) فشر ، أوربا العصور الوسطى ، الجزء الاول ، ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العرينى ، القاهرة ١٩٦٨ م ، ص ١١٥ .

(٨) الفيكنج كلمة مشتقة من اللفظ Vik وتعنى ساكن الخليج أو الفيورد ، وانقسم الفيكنج الى ثلاث مجموعات هى السويديون والنرويجيون والدانيون (الدانماركيون) ، وكان للظروف الجغرافية وغيرها اثر فى الوجهة التى قصدها كل منهم فى نشاطه التجارى والحربى ، فاتجه السويديون الى شرق اوربا للتجارة والغزو احيانا ، واتجه النرويجيون الى اسكتلندا وايرلندا ، واتجه الدانيون الى غزو هولندا وبعض سواحل شرق انجلترا وسواحل امبراطورية الفرنجة وهؤلاء هم الذين اغاروا على الاندلس . لمزيد من التفاصيل انظر :

Mawer, « The Vikings » in Cam, Med. Hist, vol. 3 pp. 309 — 111,

سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٨١ م ، ص ٢١٨ وما يليها .

(٩) Chronique de Nestor, (ed), Leger, Paris 1884, p. 4 — 5.

فيذكر البيرونى : « وأما البحر الذى فى مغرب المعمورة ... ويسمى البحر المحيط ويسميه اليونانيون أوقيانوس ... يمتد نحو الشمال على محاذاة أرض الصقالبة ، ويخرج منه خليج عظيم (أى البحر البلطى) فى شمال الصقالبة ... ويعرفونه ببحر ورنك ، وهم أمة على ساحله »[١٠] .

وكلمة الورنك أو الفارنجيين Varègues تعنى عضو فى اتحاد التجار وهى من الكلمة الاسكندنافية فار Var أى العهد أو العقد ، وتشير كلمة الورنك الى المغامرين النورمان الذين ارتبطوا بعهد أو تضامن ، كما تعنى الأحلاف فى لغة الشماليين[١١] .

وعلى هذا فان اشارات اليعقوبى والمسعودى وابن حوقل قد أرجعت الروس الى النورمان أو الى أهل الشمال أى الفيكنج ، أما اشارة البيرونى فقد حددت انتماء الروس الى فرع واحد من فروع النورمان أو الفيكنج هو الفرع الاسكندنافى أو السويدى بصفة خاصة ، فقد سكن هؤلاء البحر البلطى أو بحر ورنك كما يطلق عليه البيرونى .

ويرجع الباحثون الغربيون أصل الروس الى أهل الشمال (النورمان) وقد استند هؤلاء على ما جاء **أولا** : فى التاريخ المسمى The Russian Primary Chronicle الذى كتب فى القرن الثانى عشر ، ويغطى الفترة (٨٥٢ — ١١١٠ م) والذى يعتبر الروس شعبا

---

(١٠) أبو الريحان البيرونى ، كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم ، نشره رمزى رايت ، اكسفورد ١٩٣٣ ، ص ١٢١ .
وانظر ايضا القزوينى ، آثار البلاد واخبار العباد ، جوتين ١٨٤٨ م ، ص ٤١٦ ، أبو طالب الدمشقى ، نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، ليبسك ١٩٢٣ ، ص ٢٣ — ١٣٣ .

(١١) دائرة المعارف الاسلامية ، م ١٠ ، ص ٢٢٨ ، فشر ، أوربا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٤٠٤ .

نورمانيا[١٢] • **ثانيا** : استند هؤلاء على ما جاء فى حوليات **برتينانى** Annales Bertiniani فى عام ٨٣٩ م ، من أنه وصل فى هذا العام الى الامبراطور البيزنطى ثيوفيل رسل يحملون هدايا ثمينة وخطاب للامبراطور ، وأن الامبراطور استقبل هؤلاء الرسل فى Ingelheim ، وعندما سئل هؤلاء الرسل عن جنسيتهم ذكروا أنهم من الروس Rhos ، وأن ملكهم يحمل لقب خاقان Chacanus ، وتحرى الامبراطور عن هؤلاء الرسل ، ودل البحث فى شخصيتهم على أنهم من أهل السويد Suédois • ويتضح من هذا الأصل الاسكندنافى للروس وأنهم من السويديين أو أهل السويد[١٣] •

ثالثا : ان الفانيين Finnois أو الفنلنديين أطلقوا على العناصر الشمالية التى تغلغلت فى بلادهم وخاصة الورنك اسم ريوتسى Ruotsi ومن ثم فهو فى الروسية (روس) ، وأصل كلمتى ريوتسى وروس كلمة اسكندنافية تعنى المجدفون أو هى لفظ فنى يعنى النواتيه أو البحارة • وقد التصقت بهم هذه التسمية وصارت علما جغرافيا على جميع البلاد التى حلوا بها منذ عام ٨٦٢ م[١٤] •

رابعا : ان عددا كبيرا من أسماء أمراء الروس كانت أسماء اسكندنافية مثل : (روريك) Rurik = Hroerek, وايجور Igor,

---

(١٢) لمزيد من التفاصيل انظر :

Obolensky Byzantine Commonwealth Eastern Europe 500 — 1453, London 1971, pp. 181, Cam. Med. Hist, vol. 4, Part I (1964) pp. 495 — 96, 504.

(١٣) Florinsky, Russia, Vol. I, New York 1953, pp. 15, 16, Mawer, The Vikings, p. 327, Obolensky, Byzantine Commonwealth, pp. 181 — 82. Rambaud, Histoire de la Russie , Paris 1878, pp. 39 — 40.

(١٤) Minorsky (ed), Hudud al-Alam, London 1937, p. 432.,
Pares, A History of Russia, London 1962, p. 54,
Rambaud, Histoire de la Russie, p. 39,

فشر ، أوربا ، جـ ٢ ، ص ٤٠٤ ، سعيد عاشور ، أوربا ، جـ ١ ، ص ٢٤١ ، باسيليوس خرباوى ، تاريخ روسيا ، نيويورك ١٩١١ م ، ص ١٨ •

= Ingvar,)[١٥] وغيرها .

وهناك رأى آخر أورده ابن خرداذبه فى أصل الروس ، فعندما تحدث عن التجار الروس ذكر « أنهم جنس من الصقالبة » وعند حديثه عن مسلك هؤلاء التجار ذكر أيضا « أنهم يسيرون فى تنيس (الدون) نهر الصقالبة »[١٦] . وعلى هذا فقد أرجع ابن خرداذبة أصل الروس الى الصقالبة أو السلاف ، ويتفق هـذا مع رأى الباحثين السوفييت أو الروس، الذين يرجعون أصل الروس الى قبيلة سلافية ، كانت تسمى بالروس Ros أو Rus ، وكانت هذه القبيلة تعيش فى منطقة السهوب ، وكانت مدينة رودن Roden هى مركز هذه القبيلة . وسرعان ما تعرض سلاف السهوب لهجمات من جانب كل من القوط ثم الهون ، ثم الآفار الذين اجتاحوا البحر الأسود . ونتيجة لهذه الهجمات اتحدت قبائل السهوب الســلافية ، وكونت تحالفا قبليا كبيرا بزعامة قبيلة الروس هذه ، وأخذ هذا التحالف اسم هذه القبيلة أى اسم « الروس » وذلك فى القرنين السادس والسابع الميلاديين ، كما اتخذ هذا التحالف من مدينة رودن Roden والأراضى التى تجاور نهر الروس — أى اقليم الدينيير الأوسط — مركزا له . ثم ما لبث هذا التجمع القبلى أن نقل مقره الى كييف[١٧] مركز الـــ Polianes (Polyane)[١٨] أى شعب السهل ، جيران الروس الشماليين ، وسرعان ما تحول هذا التجمع الى

---

(١٥) انظـــر :

Rambaud, Histoire de la Russie, p. 39.

(١٦) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، بريل ١٨٨٩ م ، ص ١٥٤ .

(١٧) يذكر نسطور ان مدينة كييف شيدت على يد امير سلافى يدعى Kii (أو Key) ولذلك نسبت اليه .

لمزيد من التفاصيل انظر :

Chronique de Nestor, pp. 6 — 8;

Rybakov, B., Early Centuries of Russian History, (tr by John Weir) Moscow, 1965., p. 9., Pares, History of Russia, p. 40.

(١٨) الـــ Polianes على مقربة من الدينيير ، وعرفوا باســم شعب السهل ، لمزيد من التفاصيل انظر :

Chronique de Nestor, p. 4.

دولة اقطاعية تحمل اسم الروس[١٩] .

واستند الباحثون الروس فى رأيهم السابق على ما جاء فى كتابات المؤرخ الروسى نسطور Nestor ، الذى جعل الفصل الأول من تاريخه بعنوان « من أين جاء الروس ؟ » وقد أرجع نسطور أصل الروس الأول الى السلاف أو الصقالبة[٢٠] .

واذا كان ابن خرداذبة قد اعتبر الروس من جنس الصقالبة ، واتفق معه الدارسون السوفييت ، فان المقدسى يفصل تماما بين الروس والصقالبة اذ يذكر : « ويتاخم بلادهم (أى بلد الروس) بلد الصقالبة ، فيغيرون عليهم ويأكلون أموالهم ويسبونهم »[٢١] .

وعن مسألة الفصل بين أرض الروس وأرض الصقالبة يعلق ريباكوف Rybakov فيقول : « ان هذا الفصل لا يعنى تعارض مكان الصقالبة ووضعهم بالنسبة للروس ، ولكن هذا فقط على الصعيد الجغرافى ، وفى الفترة التى كان الروس يستعدون فيها لاقامة دولة لهم ، ولم يكونوا قد اتحدوا مع سائر السلاف الشرقيين بعد »[٢٢] .

وفى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى وبعد أن قامت دولة الروس[٢٣] يذكر ابن حوقل : « أن الروس ... اسم للمملكة والناحية

---

(١٩) لمزيد من التفاصيل انظر :
Rybakov, Early Centuries, p. 9 — 17.

(٢٠) لمزيد من التفاصيل انظر :
Chronique de Nestor, p. 4 — 7, 14 — 15.

(٢١) المقدسى البلخى ، كتاب البدء والتاريخ ، ج ٤ ، باريس ١٩٠٧ م ، ص ٦٦ .
وانظر ايضا : ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، م ٧ ، ليدن ١٩٦٧ م ، ص ١٤٥ ، ابن حوقل : المسالك والممالك ، ص ١٥ .

(٢٢) Rybakov, Early Centuries, p. 27.

(٢٣) عن قيام دولة الروس انظر ما يلى ، ص ٢١ .

لا للناس والقبيل »[٢٤] • وهذا يدل على أن اسم الروس أصبح يتخذ فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى معنا سياسيا •

يتضح مما سبق أن للمصادر العربية آراء مختلفة حول أصل الروس فمنها من اعتبر الروس من النورمان أو أهل الشمال وبصفة خاصة من الاسكندنافيين ، ومنها من اعتبرهم جنس من الصقالبة ، وليس هذا الأمر بغريب فقد حار الغرب بدوره فى تحديد أصلهم ، ويرجح أن الروس هم الفرع الشرقى من الفيكنج أى سكان البلاد التى تعرف اليوم باسم السويد ، والذين خرجوا من بلادهم اسكندناوه واتجهوا بتجاراتهم الى شرق أوربا ، وسرعان ما امتزجوا بالسلاف الشرقيين ، وتقبل السلاف حكمهم ، كما قبلوا أن يطلق عليهم اسم الروس ، ذلك الاسم الذى سرعان ما أصبح علما عليهم •

أصناف الروس وأجناسهم :

تميز المصادر العربية بين ثلاثة أصناف للروس فيذكر ابن حوقل : « أن الروس ثلاثة أصناف صنف هم أقرب الى بلغار ، وملكهم بمدينة تسمى كويابه[٢٥] (أى كييف) وهى أكبر من بلغار »[٢٦] ويضيف الأدريسى الى ذلك فيذكر أن هذا الصنف أو هذا القبيل — الذى يعيش على مقربة من بلغار يسمى براوس أو بروس ، وأن كويابه مدينة الترك المسمين روسا[٢٧] •

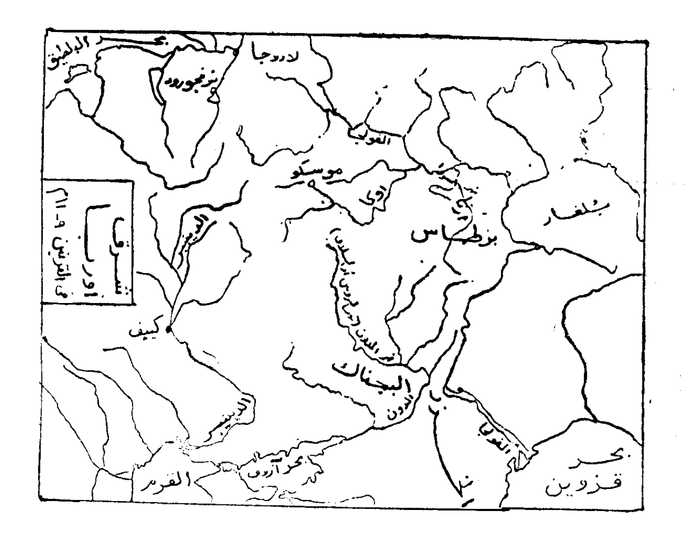
---

(٢٤) ابن حوقل ، صورة الأرض ، بيروت ١٩٧٩ م ، ص ٣٣٣ — ٣٤ وانظر ايضا :
الاصطخرى ، مسالك الممالك ، تحقيق محمد جابر عبد الله ، القاهرة ١٩٦١ م ، ص ١٣٠ •

(٢٥) عن مدينة كويابة انظر الدراسة التى قام بها فرهن فى :
Frahn (ed), Ibn Foszlan's, Und Anderer Araber Berichte Uber Die Russen Alterer Zeit. st Petersbury 1823, pp. 143 — 154.

(٢٦) ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص ٢٨٠ ، صورة الارض ، ص ٣٣٦ •

(٢٧) الادريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٩١٧ •



انظــر :

Minorsky, Huducl al Alam, p. 435.

أما الصنف الثانى فهم أبعد ، ويسمون (الصلاوية) ، وملكهم بصلا مدينة لهم ، ومدينة صلا أو صلاوة هذه فى رأس جبل[٢٨] . ويرى مينورسكى Minorsky أن الصلاوية هؤلاء من الممكن أن تنطبق على صقلب Saqalib وأنها ربما تشير بصفة خاصة الى سكان نوفجورود الأصليين أى السلوفينى Sloveni ، الذين استقر بينهم النورمان أو أهل الشمال[٢٩] . هذا فى حين يرى ريباكوف Rybakov أن مدينة صلاوة هى مدينة بيريسلاف Pereyaslav التى تقع فى الجنوب من كييف[٣٠] .

أما الصنف الثالث فيسمون (الارثانية) وملكهم مقيم بأرثا مدينة لهم ، ويقول ابن حوقل : « أما ارثا[٣١] فلم أسمع أحدا يذكر أنه دخلها من الغرباء ، لأنهم يقتلون كل من وطىء أرضهم من الغرباء (ولا يتجرأ أحد أن يدخل أرضهم) انما ينحدرون فى الماء يتجرون ولا يخبرون بشىء من أمورهم ومتاجرهم ، ولا يتركون أحدا يصحبهم ، ولا يدخل بلادهم »[٣٢] .

---

(٢٨) انظر ابن حوقل ، مسالك ، ص ٢٨٥ ، صورة الارض ، ص ٣٣٦ ، الادريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٩١٧ .

(٢٩) Minorsky (ed), Hudud al - Alam, p. 434.

(٣٠) Rybakov, Early Centruies, p. 28.

(٣١) يكتب اسم مدينة ارثا فى المصادر العربية بأشكال مختلفة منها (ارثانى ، ارثانية ، ارنى ، ارتى) انظر :

ابن حوقل ، المسالك ، ص ٢٨٦ ، صورة الارض ، ص ٣٣٦ ، الاصطخرى ، مسالك ، ص ١٣٢ ، الادريسى : نزهة المشتاق ، ص ٩٢٧ ، البكرى ، جغرافية الاندلس وأوربا ، ص ١٥٣ ، ابن الوردى : خريدة العجايب ، ص ٨٢ ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ٥٠٣ ، ابو طالب الدمشقى : نخبة الدهر ، ص ٢٦١ — ٢٦٢ .

(٣٢) ابن حوقل ، المسالك ، ص ٢٨٦ ، صورة الارض ، ص ٣٣٦ ، انظر أيضا : الاصطخرى ، مسالك ، ص ١٣٢ ، الادريسى : نزهة المشتاق ، ص ٩١٧ — ٩١٨ ، البكرى ، جغرافية الاندلس ، ص ١٥٣ ، الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٥٠٣ .

ويحدد الأدريسى موقع مدينة ارثا كما يحدد المسافة بينها وبين كل من كويابه وصلاوة فيذكر : « مدينة ارثا مدينة حسنة على جبل حصين ، وموضعها بين صلاوة وكويابه ، ومن كويابه الى ارثا أربع مراحل ، ومن ارثا الى صلاوة أربعة أيام »[٣٣] .

ويترجم فره ن Frahn ارثا الى ارزا Erza ، وهى اسم الفرع الشرقى للشعب الفنلندى موردفا Mordva ، الذى يعيش فى حوض سوره Soura أحد روافد الفولجا بالقرب من قازان[٣٤] . ولكن اذا كانت ارثا هى Erza التى ذكرها فره ن Frahn — فان هذا يتعارض مع ما ذكره كل من ابن حوقل والأدريسى من أن كويابه على مقربة من بلغار ، وأن المسافة من كويابه الى ارثا أربع مراحل ، ولذلك يرى مينورسكى Minorsky أن ارثا يجب أن تكون الى الشرق من صلاوة — اقليم الروس البعيد[٣٥] .

وأورد فره ن Frahn رأى آخر يتعلق بموقع ارثا فذكر أنها تكون بين الخزر وبلغار الكبرى ، واذا كان هذا صحيحا فان هذا الموقع يشير بذلك الى أنه كان هناك مركزا لجماعة من الروس فى اقليم أوكا Oka [٣٦] . وقد أشار مينورسكى Minrosky [٣٧] الى محاولة البروفسور سميرنوف P. Smirnov فى مؤلفه « طريق الفولجا » أن يبرهن على وجود خاقانية روسية فى الفولجا الأوسط وأوكا وأن هذه الخاقانية كانت موجودة قبل قيام دولة كييف ، وقد استند فى ذلك على المعلومات التى أوردتها حوليات برتينانى Annales Bertiniani بشأن السفارة التى جاءت الى القسطنطينية فى عام ٨٣٩ م من قبل خاقان الروس[٣٨] ، هذا الى جانب ما ورد فى المصادر العربية فيما

(٣٣) الادريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٩١٧ .

(٣٤) Frahn, Ibn Foszlan's, p. 160.

(٣٥) Minorsky, Hudud al-Alam, p. 436.

(٣٦) Frahn, Ibn Foszlan's, pp. 160 — 62.

(٣٧) Minorsky (ed), Hudud al-Alam, p. 438.

(٣٨) عن هذه السفارة انظر ما سبق ، ص ٩ .

يتعلق بخاقان الروس »[٣٩] . وافترض سميرنوف فى النهاية أن ارثا ربما كانت فى حوض أوكا Oka [٤٠] .

وفيما يتعلق بأجناس الروس يذكر المسعودى « أن الروس أمم كثيرة ، وأنواع شتى ، منهم جنس يقال لهم اللوذعانة ، وهم الأكثرون ، يختلفون بالتجارة الى بلاد الأندلس ورومية وقسطنطينية والخزر »[٤١] . ويرى مينورسكى Minorsky أن هؤلاء اللوذعانة الذين ذكرهم المسعودى هم الاردمانيون أو النورمان الذين عرفهم مؤرخو الأندلس ، والذين قاموا بالاغارة على بلاد الأندلس[٤٢] .

على أن المسعودى عاد وذكر فى موضـــع آخر : « أن الكودكانة وغيرهم من أجناس الروس يســميهم الروم روســيا ، ومعنى ذلك الحمر »[٤٣] .

وهناك من يرى بأن الكودكانة أو اللوذعانة تشير الى احدى القبائل الســلافية الخاضعة لســيادة الروس الاسكندنافيين ، وهى قبيلة اللوتشان — التى تحدث عنها قسطنطين السابع بورفير جينتوس المعاصر للمسعودى ، وذكر أن اللوتشان Lenzanenes يبنون سفنا يبيعونها للروس[٤٤] . وليس من المستبعد أن يحذو هؤلاء حذو الاسكندنافيين ، فيقومون بدورهم برحلات طويلة ، وهذا أمر ميسور لهم ، خاصة وأن بلادهم تتصل بالبحر الأسود بطريق مائى[٤٥] .

---

(٣٩) فيما يتعلق بلقب خاقان الروس انظر ما يلى ص ٤٩ .

(٤٠) Minorsky (ed), Hudud al - Alam, p. 438.

(٤١) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ١ ، ص ١٨٢ ، وأنظر أيضا : النويرى : نهاية الأرب ، ج ١٤ ، القاهرة ١٩٤٣ م ، ص ٢٣٧ .

(٤٢) مينورسكى « مادة روس » فى دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١٠ ، ص ٢٢٧ .

(٤٣) المسعودى ، التنبيه والاشراف ، تحقيق عبد الله اسماعيل ، القاهرة ١٩٣٨ م ، ص ١٢٢ .

(٤٤) انظر قسطنطين السابع ، عن الادارة الامبراطورية ، ترجمة محمود سعيد عمران ، بيروت ١٩٨٠ م ، ص ٦٠ .

(٤٥) هايد ، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ترجمة أحمد محمد رضا ، القاهرة ١٩٨٥ ، ص ٨٧ — ٨٨ .

ويعتقد فره ن Frahn أن الاسم الصحيح للكودكانة أو اللوذعانة هو (لودانيه) ويشير بذلك الى الأهالى المقيمين على ضفاف بحيرة لادوجا Ladoga — التى قامت الى جوارها مدينة لادوجا القديمة ونوفجورود — غير أنه ليست هناك رواية تؤكد ما ذهب اليه فره ن Frahn (٤٦) .

جغرافية بلاد الروس :

تقع بلاد الروس فى أقصى الشمال وقد عبر القلقشندى عن ذلك بقوله : « أن بلاد الروس ... بلاد واغلة فى الشمال »(٤٧) وقد قام صاحب كتاب حدود العالم — وهو مجهول ومن جغرافى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى بمحاولة لتحديد موقع بلاد الروس فذكر : انه يجاور الروس من الشرق البجناك(٤٨) ، ومن الغرب الصقالبة ، ومن الشمال الأراضى الشمالية ، ومن الجنوب نهر روتا Ruta (أى نهر الروس)(٤٩) ولعله يقصد بنهر روتا هنا البحر الأسود الذى عرف ببحر الروس(٥٠) . أما الاصطخرى فيذكر « أن الروس متاخمون

---

(٤٦) انظر :

Frahn, Ibn Foszlan's, pp. 171 — 74.

(٤٧) القلقشندى ، صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، جـ ٥ ، القاهرة ١٩١٥ م ، ص ٤٢٠ .

(٤٨) البجناك ، قبائل تركية حملت لواء الدفاع عن منطقة القوقاز ، وقامت بنفس الدور الذى سبق أن قام به الخزر فى مواجهة الروس . وعنهم انظر :

المسعودى ، مروج ، جـ ١ ، ص ٢٠٠ وما يليها ، ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص ١٨٥ ، ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ، ص ٢٠٧ ، المروزى : أبواب عن الصين والترك والهند ، نشره مينورسكى بالعربية مع ترجمة وتعليق بالانجليزية ، لندن ١٩٤٢ م ، ص ٢٠ — ٢١ .

Minorsky (ed and tran.), Hudud al-Alam, The region of The World, (372/982), London 1937, p. 437.

(٥٠) انظر ما يلى ص ٢٤ — ٢٥ .

للروم فى شماليها »(٥١) • أى أن الحد الجنوبى لبلاد الروس هو أراضى الدولة البيزنطية •

أما البكرى وهو من جغرافى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى فقد قام بمحاولة أخرى لتحديد تخوم بلاد الروس فذكر : « انه يجاور مشقة(٥٢) من الشرق الروس ••• وفى الغرب من الروس مدينة النساء »(٥٣) • ويقصد بمشقة هنا (بولندا) أما جزيرة النساء فهى موضع خلاف(٥٤) •

أما عن مساحة بلاد الروس فيذكر ابن الوردى « أن أرض الروس أرض واسعة الأقطار ، الا أن العمارات بها منقطعة لا متصلة ، وبين البلد والبلد مسافة بعيدة »(٥٥) • ويذكر الأدريسى : « أن بلاد الروس كثيرة فى الطول والعرض »(٥٦) ويجب أن نلاحظ هنا أن اتساع مساحة بلاد الروس لم يكن فى بداية نشأة دولتهم ولكن جاء فى مرحلة متقدمة ، وبعد أن اتسع نفوذهم • أما عن الطقس والمناخ فى بلاد الروس ، فقد ذكرت العديد من المصادر العربية(٥٧) أن بلاد الروس تتسم بالبرودة الشديدة المفرطة ، مع قلة الحرارة والبعد عن الشمس ، ولذلك فان

---

(٥١) الاصطخرى ، مسالك الممالك ، ص ١٣٢ وانظر ايضا : ابن العبرى ، مختصر تاريخ الدول ، صححه الأب انطوان صالحانى ، لبنان ١٩٨٣ م ، ص ١٠٨ •

(٥٢) عن مشقة انظر البكرى : جغرافية الاندلس ، ص ١٦٨ ، حاشية ٧ ، الحميرى ، الروض المعطار فى خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧٥ م ، ص ٥٦٠ •

(٥٣) البكرى : جغرافية الاندلس واوربا ، ص ٦٨ — ١٦٩ •

(٥٤) عن الخلاف الذى دار حول جزيرة النساء انظر البكرى ، نفس المصدر ، حاشية ١ ، ص ١٦٩ — ١٧٤ •

(٥٥) ابن الوردى ، خريدة العجايب ، ص ٨٢ ، وانظر ايضا : ابن شبيب الحرانى ، جامع الفنون ، نشر زبيل ، ص ١٠٨ •

(٥٦) الادريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٩٥٥ •

(٥٧) القزوينى ، آثار البلاد ، جوتين ١٨٤٨ م ، ص ٤١٦ ، ابو طالب الدمشقى : نخبة الدهر ، ص ٢٧٥ ، مسكويه : تجارب الامم ، ج ٢ ، مصر ١٩١٥ م ، ص ٦٦ ، المروزى : ابواب عن الصين والترك والهند ، نشره مينورسكى بالعربية مع ترجمة وتعليق بالانجليزية ، ص ١٤ — ١٥ •

النهار عند الروس اتسم بالقصر الشديد وخاصة فى فصل الشتاء ، ويبلغ قصره فى هذا الفصل لدرجة أن يكون ثلاث ساعات ونصف الساعة فقط وفى ذلك يذكر ابن حوقل : « وقد شاهدت ذلك عندهم فى الشتاء ، وكان النهار بمقدار ما صليت الأربع صلوات ، كل صـــلاة فى عقب الأخرى مع ركعات قلائل بين الآذان والاقامة »[٥٨] .

وتحدثت المصادر العربية أيضا عن أهم الأنهار الروسية ومن بينها : نهر الدنيستر ويسميه الأدريسى (دنست)[٥٩] . ونهر الدون ويسميه ابن خرداذبة (تنيس) نهر الصقالبة[٦٠] ، ويتحدث أبو طالب الدمشقى عن نهر الصقالبة والروس هذا فيذكر : « أنه نهر عظيم يخرج من جبال سقسين ومن جبال الكلابية ، وتصب اليه أنهار من بلاد باشقرد ... ومن بلاد سرداق ، وهو أيضا يجمد فى الشتاء أشد جمود من نهـــر اتـــل »[٦١] .

أما نهر الدينيبر فيسميه الأدريسى[٦٢] (دنابرس) أما ابن سعيد[٦٣] فيجعله (طنابرس) وتحدث كل من الأدريسى وابن سعيد عن هذا النهر ومصبه ، فذكرا : انه يصب فى شمالى هذا البحر (أى البحر الأسود) نهر يخرج من بحيرة طوما الكبيرة ... وينزل الى هذه البحيرة أنهار كثيرة ... أكبرها طنابرس الطويل المد[٦٤] . وذكر ابن سعيد فى موضع آخر : « نهر طنابرس الذى ينصب فى بحيرة طوما من الجبل

---

(٥٨) ابن حوقل ، المسالك ، ص ٢٨٥ وانظر أيضا الادريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٩١٨ ، ابن الوردى ، خريدة العجايب ، مصر ١٨٥٩ م ، ص ٨٣ .

(٥٩) الادريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٩٥٥ .

(٦٠) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ١٥٤ .

(٦١) أبو طالب الدمشقى : نخبة الدهر ، نشر زبيل ، ص ١٠٤ .

(٦٢) انظر الادريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٩١٢ ، ٩٢١ .

(٦٣) انظر ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، ص ٢٠٦ .

(٦٤) الادريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٩٢١ ، ابن سعيد ، بســـط الارض فى الطول والعرض ، تحقيق خوان فرنيط ، تطوان ١٩٥٨ م ، ص ١٣٦ — ١٣٧ ، كتاب الجغرافيا ، ص ٢٠٣ — ٢٠٤ .

الأحدب العالى المتصل بالجبل الكبير الممتد مع آخر العمارة بالشمال »[٦٥] .

ومن أهم المدن التى تقع على هذا النهر وخاصة الضفة الغربية منه مدينة « روسيا » وهى قاعدة الروس ، وقد حدد ابن سعيد خطوط الطول والعرض لهذه المدينة فذكر أن « هذه المدينة حيث الطول سبع وخمسون درجة ، واثنتان وثلاثون دقيقة ، والعرض ست وخمسون درجة[٦٦] . ولعل ابن سعيد يقصد بروسيا هنا مدينة كييف فهى قاعدة الروس وأم المدن الروسية .

ومن المدن الأخرى الهامة التى تقع على نهر الدينيير والتى ذكرها الأدريسى : « مدينة برمونسة وموضعها على نهر دنابرس (الدينيير) .. ومدينة كياو (أى كييف) ... ومدينة برزوله[٦٧] فى شمال النهر ... ومدينة مولس على مصب نهر دنابرس ... »[٦٨] .

وحدد الأدريسى كذلك الطريق البرى بين كييف Kiev وفلاديمير Vladimir فذكر : « مدينة كياو (أى كييف) ... ومنها الى برزوله فى شمال الوادى خمسون ميلا ، ومنها الى أوسيه فى البر يومان ، ومن مدينة أوسيه الى مدينة براسانه يومان ومنها الى مدينة لوجعه يومان من جهة الشمال ، ومدينة لوجعه الى مدينة أرمن ثلاث مراحل خفاف ... ثم الى لايمر »[٦٩] .

---

(٦٥) ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، ص ٢٠٦ .

(٦٦) ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، ص ٢٠٣ — ٢٠٤ ، بسط الارض ، ص ١٣٦ .

(٦٧) عن هذه المدينة انظر :

Lewicki, T « la Voie Kiev — Vladimir d'aprés le geographe arabe du XIIéme Siecle, al-Idrisi » dans Roeznik Orjentalistyezny T. XIII (1937), pp. 95 — 97.

(٦٨) الادريسى ، نزهة المشتاق، طبعة روما ١٥٤٢ م بدون ترقيم (انظر الجزء الخامس من الاقليم السادس) .

(٦٩) الادريسى ، نزهة المشتاق ، وانظر ايضا : الدراسة الممتازة التى قام بها :

Lewicki, la Voie Kiev — Vladimir, 95 — 105.

قيــام دولة كييف :

مر قيام دولة كييف كما يتضح من خلال المصادر العربية بثلاث مراحل :

المرحــلة الأولى :

وتبــدأ باســتقرار الروس فى اقليم البحيرات الروســية أى (لادوجا — والمــان) وفى مدينــة نوفجــورود Novogorod وتعنى بالاسكندنافية Holmgaror أى « مدينة البحيرة » وقد أشــار المقدسى الى ذلك فى قوله : « وأما الروس فانهم فى جزيرة[٧٠] وبيئة وهى حصن لهم ممن أرادهم »[٧١] وحدد ابن رسته مساحة هذه الجزيرة فذكر : « أن الجزيرة التى هم فيها نزول مسيرة ثلاثة أيام مشاجر وغياض ، وهى وبئة ندية ، اذا وضع الانسان رجله على الأرض تزلزلت الأرض من ندوتها »[٧٢] . ويبدو أن هذه الجزيرة اتسعت فيما بعد اذ حدد البكرى مساحتها بعد ذلك بمسيرة خمسة أيام[٧٣] .

ويصف الأدريسى موقع البحيرة التى قام فيها الروس وحصانتها فى قوله : « أن أرضهم بين الجبال محيطة بها .. ويخرج من هــذه الجبال عيون كثيرة ، فتقع كلها فى بحيرة طرمى ، وهى بحيرة كبيرة فى وسطها جبل عال ... وفى قبالة ظهرها يخرج نهر دنابرس (أى نهــر الدينبير)[٧٤] » .

---

(٧٠) تقع هذه الجزيرة فى منتصف بحيرة من البحيرات الروسية .

(٧١) المقدسى ، البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٦٦ وانظر أيضا : القزوينى : آثار البلاد ، ص ٣٩٣ ، ياقوت : معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٣٠١ .

(٧٢) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، ص ١٤٥ .

(٧٣) البكرى ، جغرافية الاندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، بيروت ١٩٦٨ م ، ص ١٥٢ .

(٧٤) الادريسى ، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، ص ٩٥٧ .

وانظر أيضا ابن الوردى ، خريدة العجــايب وفريدة الغرايب ، ص ٨٢ . وابن شبيب الحــرانى : جامع الفنــون وسلوة المحــزون ، نشر زبيل ، ص ١٠٨ — ١٠٩ .

يتضح من اشارات المصادر العربية السـابقة أن الروس كانوا يعيشون فى اقليم البحيرات الروسية وفى أعالى نهر الدينيير ، وأكد ذلك تاريخ نسطور Nestor الذى فصل لاقامة الروس فى نوفجورود على النحو التالى : حوالى عام ٨٦٠ م استدعت القبائل السلافية الورنك Varégues من بلادهم ليضعوا حدا للصراعات الداخلية التى أغرقت البلاد فى حالة من الفوضى ، وكان الاستدعاء على النحـو التالى : أرضنا واسعة ، وبلادنا غنية ، ولكننا نفتقر الى النظـام ، فتعالوا واحكمونا » • وعلى أثر ذلك وصل ثلاثة من الاخوة وهم : روريك Rurik وسيناوس Sineous وتروفور Trouvor [(٧٥)] مع أسرتهم ، واصطحبوا معهم جميع الروس ، وذهبوا الى السلاف ، حيث تقدم روريك الى بحيرة المان Ilmen ، وأنشأ مدينة نوفجورود ، وأقام فيها كأمير ، ووزع الأراضى والمدن على رفاقه[(٧٦)] •

وسرعان ما امتزج السلاف بالورنك أو الروس ، وبدأت اعداد الروس من سكان اقليم البحيرات تتزايد فقد حدد المقدسى عددهم بمائة ألف انسـان اذ يقول : « وجملتهم فى التقـدير زهاء مائة ألـف انسـان »[(٧٧)] •

ويوضح هذا العدد الكبير الاندماج الذى بدأ يحدث بين السلاف أو الصقالبة وبين الروس ، وقد أوردت المصـادر العربية العديد من الاشارات التى توضح هذا الاندماج فيذكر البيرونى : « انه فى وسط

---

(٧٥) تعنى كلمة روريك محب السلام ، اما سيناوس فتعنى المظفر أو المنتصر ، أما تروفور فتعنى المخلص او الامين وهى أسماء اسكندنافية . انظـر :

Rambaud, Histoire de la Russie, p. 44,

باسيليوس خرباوى ، تاريخ روسيا ، ص ١٩ .

(٧٦) انظر :

Chronique de Nestor, pp. 5, 9, 14 — 15.

(٧٧) المقدسى ، البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٦٦ . وانظر أيضا : البكرى ، جغرافية الاندلس واوربا ، ص ١٥٢ ، ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٣٠١ .

المعمور بأرض الصقالبة والروس بحر يعرف ببنطس »[٧٨] • كذلك يذكر أبو طالب الدمشقى نقلا عن صاعد الأندلسى فى ذكره للأمم : « اليونان والروم أمة وشمالها الروس والصقلب أمة »[٧٩] •

المرحــلة الثانية :

بعد أن مكن الروس أنفسهم فى نوفجورود Novogorod واقليــم البحيرات الروسية واندمجوا فى السلاف ، تبدأ المرحلة الثانية من مراحل قيام دولة كييف ، فقد أبحر اثنان من سلالة روريك هما اسكولد Askold وديـــر Dir الى الدينيبر ، ونجحا فى الاستيلاء على كييف Kiev من أيدى الخزر[٨٠] • وتحدث المسعودى عن القائد الروسى دير • وجعله من ملوك الصقالبة (السلاف) اذ يذكر : « والأول من ملوك الصقالبة ملك الدير ، وله مدن واسعة ، وعمائر كثيرة[٨١] » ، ويقصد بدولة ملك الدير التى أشار اليها المسعودى هنا امارة كييف ، ويظهر ذلك بوضوح من خلال اسم دير Dir الذى حكم كييف فى وقت واحد مع اسكولد Askold • ومن ثم فرواية المسعودى تشير الى قيام دولة كييف كما أن عبارة ابن خرداذبة التى جاء فيها أن « للروس خدم من الصقالبة يترجمون عنهم[٨٢] تظهر سيادة الروس والحكم السياسى لهم على القبائل السلافية واقامة دولة لهم فى وسط سلافى •

أما المرحلة الثالثة والأخيرة فتمت حينما استطاع أولج أو أوليغ

---

(٧٨) أبو الريحان البيرونى ، كتاب التفهيم ، ص ١٢٢ •

(٧٩) أبو طالب الدمشقى ، نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، نشر زبيل ، ص ١٠٤ •

(٨٠) لمزيد من التفاصيل عن استيلاء اسكولد ودير على كييف انظر :

Chronique de Nestor, p. 16,

Rambaud, Histoire de la Russie pp. 44 — 45.,

Michel De Taube, « Nouvelles recherches sur L'histoire Politique et religicuse de L' Europe Orientale á L'epoque de la Formation de L'Etat Russe (IX et X Siecle) dans Istina (1957), pp. 22, 25 — 27.

(٨١) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٣٣ •

(٨٢) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٥٤ •

Oleg — قريب روريك — أن ينتزع كييف من أيدى اسكولد ودير ، وأن يوحد نوفجورد وكييف فى دولة واحدة ، جعل عاصمتها كييف التى أصبحت على حد تعبير نسطور « أم المدن الروسية »(٨٣) . وعلى هذا فاولج Oleg يعتبر خليفة دير واسكولد فى حكم كييف وهـذا ما ذكره المسعودى حينما قال : « ثم يلى هذا الملك (أى ملك الدير) من ملوك الصقالبة ملك الأوانج ، وله مدن وعمائر واسعة ، وجيوش كثيرة ، وعدد كثير ، ويحارب الروم ... »(٨٤) .

ويقصد (بملك الأوانج) هنا أولج ، وقد أعطى المسعودى جملة تؤكد صحة ذلك وهى أنه خليفة لدير على حكم كييف ، وانه يحارب الروم ، فقد كان المسعودى معاصرا لحملة أولج على القسطنطينية فى عام ٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م(٨٥) .

ولم يقف توسع الروس عند كييف ، بل ما لبث أن امتد نفوذهم الى البحر الأسود (أو بحر بنطس) الذى يطلق عليه اسم (بحـر الروس) فيذكر المسعودى : « وفى أعلى نهر الخزر مصب متصـل بخليج من بحر نيطش وهو بحر الروس ، لا يسلكه غيرهم ، وهم على ساحل من سواحله »(٨٦) .

ويذكر ابن سعيد : « وفى هذا البحر (أى بحر بنطس) جزائر تسـكنها الروس ، وكذلك يقال له بحـر الروس »(٨٧) . وقد حدد أبو طالب الدمشقى عدد تلك الجزائر التى يسكنها الروس فى البحر

---

(٨٣) Chronique de Nestor, p. 18.

(٨٤) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٣٣ .

(٨٥) عن هذه الحملة انظر ما يلى ص ٣٩ — ٤١ .

(٨٦) المسعودى ، مروج ، جـ ١ ، ص ١٤٠ ، ١٨١ ، وانظر ايضا : التنبيه والاشراف ، ص ٥٨ ، أبوطالب الدمشقى ، نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، ص ١٤٥ ، ابن الوردى ، خريدة العجايب ، ص ٨٣ .

(٨٧) ابن سعيد المغربى ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربى ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٢٠٣ .

الأسود فذكر : « وبه سبع جزائر للروس »[٨٨] .

وبسط الروس نفوذهم أيضا على نهر اتل (الفولجا) لدرجة أن بعض المصادر العربية تطلق عليه أيضا (نهر الروس) فيذكر ابن حوقل : « وهذا البحر (أى بحر الخزر) ليس له اتصال بشىء من البحار ... الا ما يدخل اليه من نهر الروس المعروف باتل »[٨٩] . أما الأدريسى فيذكر : « أما نهر الروس المعروف باتل فان هذا النهر يخرج من أرض الترك ، ويمر جاريا من جهة المشرق الى أن يصل بلغار »[٩٠] .

نشـــاط الروس الحربى :

احترف الروس الغـــزو كاحترافهم للتجارة ، وعرف عنهم أنهم محاربون أشداء أقوياء ، لهم بأس شـــديد ، لا يعرفون الهـــزيمة ، ولا يولى الرجل منهم حتى يقتل أو يقتل على حد تعبير مسكويه[٩١] . وكان الروس على استعداد دائما للغزو باعتباره من الوسائل الهامة للعيش والكسب عندهم وقد عبر مسكويه عن ذلك بقوله : « ومن عادة الواحد منهم أن يحمل آلة السلاح ، ويعلق على نفســـه أكثر آلات الصناع من الفأس والمنشار والمطرقة وما أشبهها »[٩٢] .

واستخدم الروس فى حروبهم وقتالهم أسلحة منها الحربة والترس والسيف الذى كان الروسى يعلق عليه — كما ذكر مسكويه — عمودا وآلة كالدشنى[٩٣] .

وكان الروس يقاتلون رجالة كما يذكر مسكويه ، وكانوا يذهبون

---

(٨٨) ابو طالب الدمشقى ، نخبة الدهر ، ص ١٤٥ .

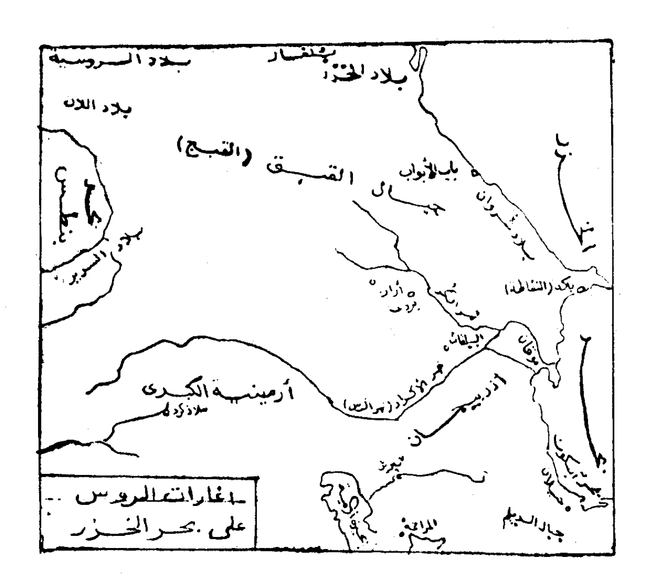
(٨٩) ابن حوقل : المسالك والممالك ، ص ٢٧٦ ، صورة الارض ، ص ٣٢٧ .

(٩٠) الادريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٨٣١ ، ٩١٩ .

(٩١) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ٦٢ وانظر ايضا المروزى : ابواب عن الصين والترك والهند ، ص ٢٣ .

(٩٢) مسكويه ، تجارب الأمم ، جـ ١ ، ص ٦٢ .

(٩٣) مسكويه ، نفس المصدر والجزء والصفحة .


بلاد الروسية
بلاد الخزر
بلاد اللان
جبال القبق (القبج)
باب الأبواب
بلاد شروان
باكو (النفاطة)
أران
البيلقان
موقان
أرمينية الكبرى
أذربيجان
جبال الديلم
غارات الروس
على بحر الخزر

الى الأماكن البعيـدة للغزو وهم رجالة كـذلك فيذكـر المروزى : « أنهم يسافرون رجالة الى المواضع النازحة للغزو »[٩٤] كما كان الروس يقاتلون على ظهور سفنهم فيذكر ابن رسته : « وليس اقدامهم على الظهر ، وانما غزوهم ومعالجتهم فى السفن »[٩٥] • وقد اشتهر الروس باستخدام نوع معين من السفن التى عرفت باسم (المونوكسيلا Monoxyla) وتعنى القوارب ذات الشكل المجوف ، وهى عبارة عن مراكب تصنع من قطعة واحدة من الخشب ، وهذه السفن ما هى الا نسخ من السفن الفيكية الشمالية ذات حجم صغير[٩٦] •

ويظهر نشاط الروس الحربى بجلاء فى تلك الاغارات التى شنها الروس على كل من منطقة بحر الخزر (أى بحر قزوين)[٩٧] وبحر بنطس (أى البحر الأسـود) بهدف العاصمة البيزنطية ، وفصلت المصادر العربية لهذه الاغارات وعرضت لها •

أولا ــ اغارات الروس على منطقة بحر الخزر (أى بحر قزوين) :

بعد قيام دولة كييف فى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى قام الروس بشن العديد من الاغارات على منطقـة بحر الخزر ، وفصلت المصادر العربية لهذه الاغارات تفصيلا مستفيضا ، هذا فى حين لم تذكر الحوليات الروسية شيئا عنها اللهم الا حملة سفياتوسلاف Svyatoslav أمير كييف فى عام ٣٥٤ ــ ٣٥٥ هـ / ٩٦٥ م ، فقد

---

(٩٤) المروزى ، أبواب عن الصين والترك والهند ، ص ٢٣ •

(٩٥) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٤٦ •

(٩٦) عن هذه السفن انظر : قسطنطين السابع ، الادارة الامبراطورية ، ص ٦٠ ــ ٦١ •
وانظر ايضا : اومان ، الامبراطورية البيزنطية ، ترجمة مصطفى طه بدر ، القاهرة ١٩٥٣ م ، ص ١٨٤ •

(٩٧) يعرف بحر قزوين ببحر جرجان وطبرستان وببحر الخزر نسبة الى مملكة الخزر التى قامت فى شماله فى أوائل العصور الوسطى وعن بحر قزوين أو بحر الخزر انظر :
ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٣٢٧ ــ ٣٢٩ ، الادريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٨٣١ ــ ٨٣٢ ، ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، ص ١٩٦ •

أورد تاريخ نسطور Nestor بضعة سطور عنها[٩٨] • مما يظهر أهمية المصادر العربية بالنسبة لدراسة تاريخ الروس •

الاغارة الأولى :

شن الروس أولى اغاراتهم على جنوب بحـــر الخزر (قزوين) وفصل المسعودى لهذه الغارة فذكر : « وقد كان بعد الثلاثمائة ورد عليهم (أى على الخزر) نحو من خمسمائة مركب ، فى كل مركب مائة نفس ، فدخلوا خليج نيطس المتصل ببحر الخزر »[٩٩] وعلى هذا فقد حدد المسعودى الفترة الزمنية التى وقعت فيها هذه الغارة ، كما حدد عدد الجنود والسفن الروسية التى قامت بشنها •

ويتابع المسعودى روايته فيذكر أن الروس اصطدموا برجال ملك الخزر ، الذين كانوا يقفون بالعدد القوية استعدادا لصد كل من يأتى اليهم من هذا البحر أو من جهة البر • وعندئذ رأى الروس ضرورة التفاوض مع خاقان الخزر ، حتى يأذن لهم فى عبور هذا البحر فى أمان وسلام ، وكان ان اتصـــل الروس بالخاقان ووعدوه بنصف الغنائم والأسلاب التى يحصلون عليها ان أذن لهم بعبور البحر ، فقبل خاقان الخزر ذلك وسمح لهم بالعبور[١٠٠] •

ويستمر المسعودى فى روايته فيذكر : « أن مراكب الروس انتشرت فى هـــذا البحـــر ، وطرحـــت سراياهم الى الجيـــل والديلم وبلاد طبرستان[١٠١] ، وأبسكون[١٠٢] ، وهى بلاد على ساحل جرجان ، وبلاد

---

(٩٨) Chronique de Nestor, p. 51.

(٩٩) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ١٨٣ .

(١٠٠) المسعودى ، نفس المصدر والجزء والصفحة .

(١٠١) حول اغارة الروس على بلاد طبرستان عامى ٢٩٧ هـ / ٢٩٨ هـ انظـــر :

الحسن بن اسفنديار ، تاريخ طبرستان ، نشر زبيل ، ص ٨٧ — ٨٨ .

(١٠٢) آبسكون : بلدة على ساحل بحر الخزر ، واليها ينسب بحر آبسكون ، ومنها يركب الى الخزر والى باب الأبواب والجيل والديلم وغير ذلك انظر : ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٣٢٩ .

النفاطه[١٠٣] ، ونحو بلاد آذربيجان[١٠٤] » .

ويعرض المسعودى بعد ذلك لما قام به الروس فى تلك النواحى من سفك للدماء ، واعتداء على النساء والأطفال ، ومن تخريب وتدمير . وكيف أن أهالى تلك المناطق الواقعة جنوب بحـــر الخزر لم يتوقعوا حدوث مثل هذه الغارة التى شنها الروس عليهم اذ لم يعهدوا بمثلها من قبل ، فهذا البحر لا تسلكه سوى مراكب الصيد ومراكب التجار فحسب ، ولكن كان لابد من التصدى لهم[١٠٥] .

اعتاد الروس — كما يذكر المسعودى — بعد الانتهاء من شـــن اغاراتهم أن يأووا الى جزائر تقع على مقربة من مملكة شروان[١٠٦] المعـــروفة بباكة والنفاطة ، وكان ملك شروان فى ذلك الوقت هـــو (على بن الهيثم) فخرج الناس فى عهده لقتال الروس فى القوارب وعلى ظهور سفن التجار ، غير أن الغلبة كانت للروس الذين نجحوا فى قتل عدد من المسلمين وأغرقوا عددا آخر ، وبعد هذه الهزيمة التى أنزلها الروس بالمسلمين ، ظلوا يقيمون فى بحر الخزر عدة أشهر ، دون أن يستطيع أحد من الأمم المجاورة لهذا البحر التعرض لهم ، بل كان الجميع يخافونهم ويحذرونهم[١٠٧] .

وقرر الروس العودة الى بلادهم ، بعد أن غنموا غنائم لا تعد

---

(١٠٣) بلاد النفاطة وهى باكة او باكو ، وتقع على بحر الخزر جنوب باب الابواب ، وسميت ببلاد النفاطة لكثرة ما بها من النفط وعنها انظر : لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، بغداد ١٩٥٤ م ، ص ٢١٥ .

(١٠٤) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ١٨٣ .

(١٠٥) المسعودى ، نفس المصدر والجزء ، ص ١٨٣ — ١٨٤ .

(١٠٦) شروان احدى مدن أرمينية فيما يلى نهر الكر على بحر قزوين ، بناها انو شروان فسميت باسمه ، ثم خففت باسقاط شطر اسمه . وعنها انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٢٥٨ ، الحميرى ، الروض المعطار فى خبر الاقطار ، ص ٣٤٠ .

(١٠٧) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ١٨٤ .

ولا تحصى ، فساروا فى مصب نهر الخزر ، ومن هناك راسلوا خاقان الخزر وحملوا اليه الأموال والغنائم وفقا لما تم الاتفاق عليه ، ولكن رعايا ملك الخزر من المسلمين المقيمين فى بلاده طلبوا منه أن يأذن لهم بمهاجمة الروس عند عودتهم قائلين له : « خلنا وهؤلاء القوم ، فقد أغاروا على بلاد اخواننا المسلمين ، وسفكوا الدماء ، وسبوا النساء والذرارى »(١٠٨) ولم يستطيع ملك الخزر أن يحول بين المسلمين وبين ما طلبوه ، فأذن لهم بالخروج لقتال الروس ، ولكنه أرسل فى نفس الوقت الى الروس يخبرهم بما عزم عليـه المسـلمون من الخروج لحربهم(١٠٩) .

ويقدر المسعودى عدد جيش المسلمين الذى خرج لقتال الروس بنحو خمسة عشر ألفا بالخيل والعدد ، ويذكر أنه اشترك مع المسلمين فى الخروج لقتال الروس جماعة من النصارى المقيمين بمدينة اتل عاصمة الخزر ، وانقض المسلمون والنصارى على الروس عند عبورهم لبحر الخزر ، ودار قتال بين الطرفين استمر ثلاثة أيام ، انتصر بعدها المسلمون على الروس انتصارا عظيما ، وقتل من الروس من قتل وغرق من غرق . ولم ينجو منهم سوى خمسة آلاف — كما ذكر المسعودى — وركب هؤلاء المراكب واتجهوا نحو بلاد برطاس(١١٠) . أما عن مصير هؤلاء فيذكر المسعودى : « فمنهم من قتله أهل برطاس ، ومنهم من وقع الى بلاد البرغر (أى البلغار) الى المسلمين فقتلوهم »(١١١) .

وهكذا باءت أولى اغارات الروس على بحر الخزر بالفشل ، وكاد المسلمون أن يبيدوهم فقد قدر المسـعودى عدد من قتل منهم بنحو

---

(١٠٨) المسعودى ، نفس المصدر والجزء والصفحة . وانظر ايضا : الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٣١ .

(١٠٩) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

(١١٠) عن بلاد برطاس انظر : ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص ٢٨٥ ، والاصطخرى ، مسالك الممالك ، ص ١٣٠ ، ابن الوردى : خريدة العجايب ، ص ٨٣ ، الحميرى ،الروض المعطار ، ص ٨٨ — ٨٩ .

(١١١) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ١ ، ص ١٨٥ .

ثلاثين ألفا[١١٢] ، ولهذا لم يحاولوا أن يعيدوا هذه الكرة مرة أخرى خلال تلك الفترة .

الاغارة الثانية (٣٣٢ هـ / ٩٤٣ — ٩٤٤ م) :

شن الروس اغارتهم الثانية على مدينة بردعة[١١٣] وهى من أهم المدن التى تقع على الساحل الغربى لبحر الخزر ، بل ويطلق عليها اسم « بغداد القوقاز » اذ كانت بردعة وقت هجوم الروس عليها كما يقول ابن حوقل[١١٤] « أم الران وعين تلك الديار » فهى قصبة مملكة أران التى تقع بين نهرى الكر والرس فيما وراء القوقاز .

وفصلت المصـادر العربية لاغارة الروس على بردعة فى عـام ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ — ٩٤٤ م تفصيلا مستفيضا أيضا ، ويأتى على رأس هذه المصادر مسكويه ، وابن الأثير والهمذانى ، وابن خلدون[١١٥] . كما أشـار اليها كل من ابن كثير وابن الوردى وأبى الفدا اشارات سريعة[١١٦] .

---

(١١٢) المسعودى ، نفس المصدر والجزء والصفحة .

(١١٣) ع نمدينة بردعة انظر : ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص ٢٤٠ — ٢٤١ ، ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، ص ١٨٩ ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ٨٦ — ٨٨ ، ياقوت : معجم البلدان ، م ٢ ، ص ١١٩ — ١٢٢ .

(١١٤) ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص ٢٤٠ — ٢٤١ .

(١١٥) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ٢ ، ص ٦٢ — ٦٧ ، ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ،جـ٨ ، ص ٤١٢ — ٤١٥ ، الهمذانى ، تكملة تاريخ الطبرى ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٨٢ م ، ص ٣٤٥ ، ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، م ٣ ، ق ٤ ، بيروت ١٩٨٣ م ، ص ٨٧٠ — ٨٧١ ، م ٤ ، ق ٤ ، ص ١٠٦٨ — ١٠٧٠ .

(١١٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، بيروت ١٩٨٣ م ، ص ٢٠٨ ، ابن الوردى ، تتمة المختصر فى أخبار البشر ، جـ ١ ، مصر ١٢٨٥ هـ ، ص ٢٧٦ ، أبو الفدا ، المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٢ ، بيروت د . ن ، ص ٩١ .

يروى مسكويه غارة الروس على بردعة تحت حوادث عام ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ هـ — ٩٤٤ م فيذكر بأن الروس ركبوا البحر (أى بحر الخزر) وعن طريقه وصلوا الى نهر الكر ومنه الى بردعة — التى تقع على بعد فراسخ من هذا النهر — وكانت بردعة عندئذ تحت حكم نائب المرزبان ابن محمد بن مسافر ملك الديلم وحاكم ايران وآذربيجان (٣٣٠ — ٣٤٦ هـ / ٩٤١ — ٩٥٧ م) . وعندما علم صاحب المزربان أو نائبه بوصول الروس الى بردعة ، خرج اليهم ومعه ثلاثمائة رجل من الديلم وما يقرب من عددهم من الصعاليك والأكراد الى جانب المتطوعين من العامة الذين بلغ عددهم نحو الخمسة آلاف رجل — كما يذكر مسكويه . وأسفر اللقاء بين الفريقين عن هزيمة المسلمين وفرار المطوعة بأسرهم وسائر العسكر الا الديلم الذين ثبتوا فى ميدان القتال ، فقتلهم الروس عن آخرهم ، وتعقبوا الفارين الى داخل المدينة ، فهرب كل من كان له مركوب أى دابة يركبها ، وتركوا البلد فدخله الروس واستولوا عليه(١١٧) .

وعندما نزل الروس بمدينة بردعة ، نادوا فيها بالأمان ، وقالوا لأهلها : « لا منازعة بيننا وبينكم فى الدين ، وانما نطلب الملك وعلينا أن نحسن السيرة وعليكم حسن الطاعة »(١١٨) .

ويتابع مسكويه روايته فيذكر أن جند المسلمين أقبلوا من كل ناحية لقتال الروس ، فخرج الروس لقتالهم ، وكان أهل بردعة يخرجون معهم ، فاذا حمل المسلمون على الروس ، كبر أهل بردعة ورجموا الروس بالحجارة ، فنهاهم الروس عن فعل ذلك وأن يضبطوا أنفسهم ، فلم ينته سوى العقلاء منهم ، أما العامة فلم يستطيعوا ضبط أنفسهم وحبس مشاعرهم وعندئذ نادى الروس فى أهل بردعة بأن يتركوا المدينة

---

(١١٧) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ٢ ، ص ٦٢ — ٦٣ ، انظر ايضا ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٨ ، ص ٤١٢ ، ابن خلدون ، العبر ، م ٤ ، ق ٤ ، ص ١٠٦٩ .

(١١٨) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ٢ ، ص ٦٣ .

خلال ثلاثة أيام ، فخرج كل من كانت لديه دابة يركبها ، وبعد أن انقضت الأيام الثلاثة ظل بالمدينة عدد كبير من أهلها ، فقتل الروس بعضهم وأسروا البعض الآخر ، ووضعوا الأسرى من النساء والأطفال فى حصن داخل المدينة ، أما الأسرى من الرجال فقد جمعوهم فى مسجد المدينة الجامع ، وقالوا لهم « اشتروا أنفسكم »(١١٩) .

ويستمر مسكويه فيذكر بأنه كان بالمدينة كاتب نصرانى له رأى سديد يعرف باسم « ابن سـمعون » فتوسط فى الأمر بينهم وبين الروس أن يفتدى كل رجل نفسه بعشرين درهم ، فقبل ذلك عقـلاء أهل بردعة ، ولم يقبله الباقون قائلين : « انما يريد ابن سمعون أن يلحق المسلمين بالنصارى فى أداء الجزية »(١٢٠) . وعندما وجد الروس أنه لا جدوى منهم قتلوهم الا من اقتنى نفسه بذخيرة كانت له فكان الروسى يحضر الى بيت المسلم أو حانوته ويأخذ ما به من مال وجوهر وفرس وكسوة ويقوم بالافراج عنه ويعطيه طينا مختوما يأمن به من غيره — كما يذكر مسكويه(١٢١) .

أما عن مصير الأسرى من النساء والصبيان فيذكر مسكويه : « أنهم فجروا بهن وبهم واستعبدوهم »(١٢٢) . أما ابن الأثير فيذكر : « أنهم استعبدوا السبى واختاروا من النساء من استحسنوها »(١٢٣) .

واستعظم المسلمون ما فعله الروس بأهل بردعة ، ولذلك نادوا بالنفير وبضرورة اعداد العدة لقتال الروس ، وجمع المرزبان ابن محمد عسكره وانضم اليه متطوعون من كل مكان ، ورغم ما اجتمع اليه من عدد كبير من الرجال الا أنه هزم من الروس هو ومن معه من المسلمين ،

---

(١١٩) مسكويه ، نفس المصدر والجزء ، ص ٦٣ — ٦٤ ، وانظر أيضا ابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٤١٢ — ٤١٣ .
(١٢٠) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٦٤ .
(١٢١) مسكويه ، نفس المصدر والجزء والصفحة .
(١٢٢) مسكويه ، نفسه .
(١٢٣) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، ج ٨ ، ص ٤١٣ .

ولذلك قرر المرزبان أن يلجأ الى الحيلة فى قتال الروس وأن يستغل ما ألم بهم من ضعف بسبب الوباء الذى أصابهم عند مراغة لاكثارهم من أكل الفاكهة . فكمن المرزبان لهم ليلا ، وفى الصباح خرج هو وأصحابه لقتالهم[١٢٤] .

واصطف الروس وأميرهم للحرب ، ثم التقى الفريقان واقتتلوا ، وأظهر المرزبان الهزيمة هو ومن معه من المسلمين فطاردهم الروس حتى جاوزوا موضع الكمين واستمروا على هزيمتهم ، فصاح فيهم المرزبان بأن يراجعوا الحرب ، فلم يفعلوا لما دب فى قلوبهم من خوف من الروس ، وعندئذ اضطر المرزبان أن يعود وحده مع من تبعه من اخوته وخاصته وغلمانه لقتال الروس ، فاستحيا أكثر الديلم ورجعوا ورائه وكروا على الروس ، ونادوا الكمين بالعلامة التى بينهم ، فخرجوا من ورائهم ، وقاتلوا الروس وقتلوا منهم عددا كبيرا ، وكان من بين القتلى أمير الروس نفسه[١٢٥] .

ولجأ من بقى من الروس الى حصن بردعة الذى يعرف باسم شهرستان ، واعتصموا به ، وكانوا قد نقلوا اليه ما استولوا عليه من غنائم وأسلاب وأموال وأسرى وميرة ، فحاصرهم المرزبان ، حتى اضطروا للخروج من الحصن ليلا — خاصة بعد أن اشتد الوباء عليهم — وحملوا معهم كل ما أمكنهم من المال والجواهر والثياب الفاخرة وأحرقوا الباقى ، وأخذوا معهم أيضا ما أرادوا من الأسرى من النساء والصبيان ، واتجهوا نحو نهر الكر حيث ركبوا سفنهم التى خرجوا فيها من بلادهم ، وكانت معدة وعلى ظهورها ملاحيها — كما تروى المصادر العربية — ومضوا الى بلادهم ، وعجز المرزبان عن متابعتهم واللحاق

---

(١٢٤) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٦٤ — ٦٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٤١٣ .

(١٢٥) مسكويه ، نفس المصدر والجزء ، ص ٦٥ ، وانظر أيضا ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤١٣ — ٤١٤ .
الهمذانى ، تكملة تاريخ الطبرى ، ص ٣٤٦ .

بهم وأخذ ما معهم[١٢٦] .

وهكذا انتهت اغارة الروس على بردعة فى عام ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ — ٩٤٤ م) بأن اضطروا للجلاء عن المدينة — بعد أن أقاموا بها ستة أشهر وذلك بسبب تفشى الطاعون بين جنودهم وحصار المرزبان ابن محمد بن مسافر لهم .

الاغارة الثالثة :

استهدفت اغارة الروس هذه المرة منطقة نهر اتل بأكملها ممثلة فى مدينة بلغار وبلاد الخزر وغيرها . وتعتبر رواية ابن حوقل من الأهمية بمكان بالنسبة لهذه الاغارة ، اذ كان ابن حوقل فى وقت وقوعها فى مدينة جرجان ، وقد أشار اليها فى ثلاث مواضع من كتاباته :

أولا : حينما تحدث عن مدينـــة بلغار فذكر : « وبلغار مدينـــة صغيرة ، وليس لها أعمال كثيرة وكانت مشهورة ... فاكتسحها الروس وخزران واتل وسمندر فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة »[١٢٧] .

ثانيا : عندما تحدث عن الخزر فذكر : « وللخزر أيضا مدينة تسمى سمندر — وهى فيما بين اتل وباب الأبواب — وكانت بها بساتين كثيرة يقال انها كانت تشتمل على نحو ألف كرم ، وسألت عنها بجرجان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة لقريب عهد بها فقال ... ان جميع ذلك هلك مع البلد ، وقد أتى الروس عليها ولم يبق بالبلد عنبة ولا زبيبة ... وكان يسكنها المسلمون وغيرهم ، ولهم بها مساجد ، وللنصارى بيع ولليهود كنائس ، فأتى الروس على جميع ذلك ، واهلكوا جميع ما كان على نهر اتل لجميع خلق الله من الخزر وبلغار ... واستولوا عليها ،

---

(١٢٦) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ٢ ، ص ٦٦ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٨ ، ص ٤١٤ — ٤١٥ .

وانظر أيضا : ابن خلدون ، العبر ، م ٤ ، ق ٤ ، ص ١٠٦٩ — ١٠٧٠ ، الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ، ص ٣٤٦ .

(١٢٧) ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص ١٤ .

فلجأ أهل اتل الى جزيرة باب الأبواب وتحصنوا بها ، وبعضهم فى جزيرة سياه كويه[١٢٨] مقيمين خائفين »[١٢٩] .

ثالثا : يذكر ابن حوقل فى موضع آخر : « ولم يبق فى وقتنا هذا لبلغار ولا لبرطاس ولا للخزر بقية ، وذلك أن الروس أتوا على جميعهم واستخرجوا سائر تلك الديار منهم ، وصارت لهم ، ومن أفلت من أيديهم متشتت فى ما داناهم محبة لجوار بلادهم ورجاء أن يعاهدوهم فيرجعون تحت طاعتهم »[١٣٠] .

ويلاحظ على ما ذكره ابن حوقل ما يلى :

أولا : أن ابن حوقل مزج فى روايته الأولى بين فتح الروس لمدينة بلغار وبين غزوهم لاتل وبلاد الخزر ، وانه حدد عا م٣٥٨ هـ / ٩٦٨ — ٩٦٩ م تاريخا لاغارة الروس على كل من بلاد البلغار وبلاد الخزر ، غير أن هذا التاريخ الذى حدده ابن حوقل يتفق مع حملة سفياتوسلاف Svyatoslav أمير كييف (٩٦٤ — ٩٧٢ م) على بلاد البلغار[١٣١] فحسب ، وعلى هذا النحو يصبح تحديد ابن حوقل لحملة الروس على البلغار تحديدا دقيقا .

ثانيا : أن ابن حوقل عندما تحدث عن الخزر ومدينتهم سمندر قال : « وسألت عنها بجرجان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة لقريب

---

(١٢٨) جزيرة سياكوه جزيرة كبيرة بها عيون واشجار وغياض وبها دواب وحشى كما يذكر الاصطخرى — وهى من جزر بحر الخزر ، ويقيم بها طائفة من الأتراك . انظر الاصطخرى ، مسالك الممالك ، ص ١٢٨ — ١٢٩ .

(١٢٩) ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص ٢٨٢ ، صورة الارض ، ص ٣٣٣ .

(١٣٠) ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص ٢٨٦ ، صورة الارض ، ص ٣٣٦ .

(١٣١) لمزيد من التفاصيل عن حملة سفيا توسلاف على البلغار انظر :
Chronique de Nestor, p. 51 stq.,
Runciman, A History of the First Bulgarian Empire, London 1930, pp. 201 — 205, Grousset, L'Empire de Steppes, p. 237.

عهد بها ... »[١٣٢] وعلى هذا فلم يحدد ابن حوقل هنا عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ — ٩٦٩ م كتاريخ لغزو أو لاغارة الروس على بلاد الخزر ، ومن ثم فليس هذا هو العام الذى وقعت فيه اغارة الروس على بلاد الخزر بل العام الذى تلقى فيه ابن حوقل وهو بجرجان خبر الفتح الروسى لبلاد الخزر . يتضح من ذلك أنه ليس هناك ثمة تناقض تاريخى بين رواية ابن حوقل التى نقلها عن أهل جرجان وبين ما جاء فى الحوليات الروسية وخاصة تاريخ نسطور من أن غزوة سفياتوسلاف لبلاد الخزر وقعت فى عام ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م وهــو التاريخ الذى شن فيه الروس هجومهم الفعلى على بلاد الخزر[١٣٣] . وأكد ابن الأثير ذلك فيما بعد اذ ذكر فى حوادث هذا العام (٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م) : « وفيها نزلت طائفة من الترك[١٣٤] على بلاد الخزر ، فانتصر الخزر بأهل خوارزم ... فنصرهم أهل خوارزم وأزالوا الترك عنهم »[١٣٥] .

ثالثا : أشار ابن حوقل فى روايته أنه لم يبق لا للخزر ولا للبلغار بقية ، وأن الروس أخضعوا سائر بلادهم . على أن حملتى سفياتوسلاف أمير كييف على بلاد الخــزر والبلغار لم تقوض هــذه البلاد تماما ، فبالنسبة للخزر لم يتم للروس سوى اخضاع شبه جزيرة القرم وشبه جزيرة تامان المقابلة لها ، ولعل هذا الاقليم هو الاقليم المعروف باسم (خزريا) ، وهناك من الأدلة على أن الروس لم يقضوا على الخزر تماما بحملتهم عليهم عام (٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م) ، من بين هذه الأدلة ، أن يهود الخــزر ذكروا فى الرواية الخاصة بالجهــود التى بذلها أتباع الــديانات الثــلاث لحمــل فلاديمير أمــير كييف عــلى اعتنــاق ديانتهم[١٣٦] . كما استمر وجود الخزر حتى بعد عصر فلاديمير ، ولم

---

(١٣٢) انظر ما سبق ص ٣٤ .

(١٣٣) انظر : Chronique de Nestor, p. 51.

(١٣٤) يقصد بالترك هنا الروس فقد اعتبرتهم بعض المصادر من التــرك .

(١٣٥) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٨ ، ص ٥٦٥ .

(١٣٦) انظر ما يلى ص ٥٧ — ٥٨ .

يختفى الخزر من المسرح السياسى الا فى عام ١٠٣٠ م[١٣٧] .

أما بالنسبة للبلغار فلم تقوض حملة سفياتوسلاف فى عام (٣٥٨ هـ / ٩٦٨ — ٩٦٩ م) أركان دولتهم ولم تقض عليهم نهائيا — على نحو ما جاء فى رواية ابن حوقل — فيذكر تاريخ نسطور الروسى أن البلغار كانوا على صلة بأمير كييف فلاديمير ، وأنهم أرسلوا وفدا من قبلهم يدعوه الى الاسلام ، كما يذكر نسطور بأنه فى عام ٣٩٧ هـ / ١٠٠٦ م أبرمت بين الروس والبلغار معاهدة ثم تبعتها حروب بين الطرفين[١٣٨] . واستمرت العلاقات تربط بين البلغار والروس ، وأوفد البلغار مهندسى البناء والعمال الى المدن الروسية ، كما أن كنيسة جميلة فى مدينة Darpatyurev كان مهندسها بلغاريا[١٣٩] . كل هذا يدل على أنه ظلت للبلغار بقية بعد حملة الروس فى عام (٣٥٨ هـ / ٩٦٨ — ٩٦٩ م) .

جملة القول أن حملة الأمير الروسى سفياتوسلاف على بلاد الخزر والبلغار ، أسفرت عن اخضاع أجزاء من تلك البلاد لسيطرة الروس وليس بصفة دائمة ، اذ ما لبث الروس أن تركوا تلك البلاد وارتبطوا معها بعد ذلك بعلاقات مودة وعداء .

رابعا — اغارات أخرى :

وبعد ما يقرب من نصف قرن أو يزيد قام الروس بشن اغارات أخرى على منطقة أران وحكامها من بنى شداد ، ويشير (منجم باشى) الى اغارتين من هذه الاغارات فى فصل من فصول كتابه « جامع الدول » وهذا الفصل بعنوان « الشدادية »[١٤٠] .

---

(١٣٧) انظر الرمزى : تلفيق الاخبار ، ص ١٩٤ — ١٩٥ ،
Grousset, L'Empire de Steppes, pp. 237 — 238.

(١٣٨) انظر ما يلى ص ٥٧ .

(١٣٩) حسين على الداقوقى ، « دولة البلغار المسلمين فى حوض الفولغا » ، مقال بمجلة المؤرخ العربى ، العدد ٢١ (١٩٨٢ م) ، ص ٢٢٩ .

(١٤٠) نشره مينورسكى وعلق عليه فى :
Minorsky, Studies in Caucasian History, London 1953.

وذكر منجم باشى أن الغزوة أو الاغارة الأولى وقعت فى عام ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م حيث دخلت طائفة من الروس بلاد شروان بنحو ٣٨ سفينة ، فحاربهم صاحبها منوجهر ، وحاول منعهم من عبور نهر الرس ، فغرقوا جماعة من المسلمين ، فأخرجهم موسى بن الفضل — حاكم أران من بنى شداد ، وأعطاهم أموالا كثيرة ، وأخذهم الى بيلقان ونجح بواسطتهم فى الاستيلاء عليها ، ثم خرج الروس — كما يذكر منجم باشى — من آران وعادوا الى بلادهم[١٤١] .

وكان هدف الروس من هذه الاغارة كما يذكر مينورسكى Minorsky هو الوصول الى مستعمرتهم تموتورجان Tmutorokan عند مدخل بحر أزوف ، والتى أسست فى بداية القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى على يد مستيسلاف Mstislav ابن فلاديمير وشقيق ياروسلاف Yaroslav أمير كييف[١٤٢] .

ووقعت الاغارة الثانية — كما يشير منجم باشى — فى العام التالى أى (٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م) اذ خرجت الروسية مرة ثانية فى هذا العام ، فسار اليهم موسى بن الفضل وقاتلهم عند باكويه (أى بلاد النفاطة أو باكة)[١٤٣] فأخرجهم من بلاده ، وقتل منهم مقتلة عظيمة[١٤٤] . وهكذا نجح موسى بن الفضل فى انقاذ بلاده من خطر الروس وأخرجهم منها ، كما نجح المسلمون فى التصدى لاغارتهم على سائر مناطق بحر الخزر شماله وجنوبه .

ثانيا — هجمات الروس على القسطنطينية :

لم يقتصر نشاط الروس الحربى على منطقة بحر الخزر (قزوين) والقوقاز فحسب ، بل تطلع الروس أيضا للاستيلاء على مدينة

---

(١٤١) منجم باشى ، باب الشدادية من كتاب جامع الدول ، نشر مينورسكى ، ص ١١ — ١٢ .

(١٤٢) Minorsky, Studies in Caucasian History, p. 77.

(١٤٣) عن بلاد النفاطة انظر ما سبق ص ٢٩ ، حاشية ١٠٣ .

(١٤٤) منجم باشى ، باب الشدادية ، ص ١٢ .

القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ، فقد أثار ثراء هذه المدينة وغناها أطماعهم وطموحاتهم ، كما أسال لعابهم ، ولذلك حاولت أساطيل الروس القوية أن تغزو القسطنطينية مرات عدة فى أعوام (٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م) ، (٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م) ، (٣٣٠ هـ / ٩٤١ م) ، (٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م) (٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م) ولهذا احتاط البيزنطيون للأمر فيذكر المسعودى فى معرض حديثه عن خليج القسطنطينية : « أن عليه ... مدينة للروم تسمى مسناة تمنع من يرد فى ذلك البحر (أى بحر بنطس أو البحر الأسود) من مراكب الروس وغيرها » . ويذكر فى موضع آخر . « من مراكب الكودكانة[١٤٥] وغيرهم من أجناس الروس[١٤٦] » أى أنه يخص الروس هنا بالذات .

ولم يرد للهجوم **الأول**[١٤٧] الذى شنه اسكولد ودير أمراء كييف — على القسطنطينية فى عام (٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م) ذكر فى المصادر العربية . أما الهجوم **الثانى** الذى قام به أولج Oleg فى عام (٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م) فقد أكدت المصادر العربية حدوثه ، رغم أن البعض ينكر هذا الهجوم ، ويعتبر ظهور أولج أمام أسوار القسطنطينية فى هذا العام ضربا من الأساطير[١٤٨] . فيذكر المسعودى : « انه يلى

---

(١٤٥) عن الكودكانة انظر ما سبق ص ١٦ — ١٧ .

(١٤٦) المسعودى : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٣١٩ ، التنبيه والاشراف ، ص ١٢١ — ١٢٢ .

(١٤٧) عن هجوم الروس على القسطنطينية فى عام ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م ، انظر :
Chronique de Nestor, p. 16,
Obolensky, Byzantine Commonwealth, pp. 182 — 183.,
فازيليف ، العرب والروم ، ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة ، ص ٢١١ — ٢١٥ ، الباز ، الدولة البيزنطية ، ص ٣٠٥ — ٣٠٧ ، خرباوى باسيليوس ، تاريخ روسيا ، ص ١٩ ، محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٣٢ — ١٣٣ ، علية الجنزورى : العلاقات البيزنطية الروسية ، ص ٣٢ — ٤٠ .

(١٤٨) من أهم الدراسات حول هذا الهجوم انظر :
Vasiliev, « The Second Russian attack on Constantinople » in Dum. Oaks Papers, T. 16, pp. 165 — 225.,
Jenkins, « The Suppored Russian Attack on Constantinople (907) ». in Speculum (1949), pp. 403 — 406.

ملك الدير من ملوك الصقالبة ملك الأوانج .. وله جيوش كثيرة وعدد كثير ويحارب الروم »[١٤٩] . ويقصد المسعودى بالأوانج هنا أولج ، فقد عرف المسعودى اسم هذا الأمير الروسى أثناء رحلاته عبر شواطىء بحر قزوين ، وسمعه من الفيكنج والسلاف الذين كانوا يقاتلون هناك فى ذلك الوقت[١٥٠] . وثبت من خلال تاريخ نسطور أن أولج هو خليفة اسكولد ودير على عرش كييف ، وهو الذى شن الهجوم على القسطنطينية فى عام ٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م[١٥١] . مما يؤكد وقوع هذا الهجوم بالفعل كما أشار المسعودى .

وأشار المروزى أيضا الى هجـوم الروس هـذا على مدينـة القسطنطينية فذكر : « يسافرون (أى الروس) أيضا فى السفن فى بحر الخزر ، ويغصبون المراكب ، ويسلبون الأموال ، ويسافرون الى القسطنطينية فى بحر بنطس والسلاسل فى خليجها »[١٥٢] ويلاحظ على رواية المروزى هذه أنه ذكر غزو الروس لبحر الخزر مقترنا بغزوهم للقسطنطينية ، والمعروف — كما سبق أن أشرنا — أن غزوة أو اغارة الروس على منطقة بحر الخزر وقعت فى بدايات القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، وبالتالى فان غزوهم للقسطنطينية قد حدث فى نفس الفترة[١٥٣] .

ومن المعروف أن البيزنطيين وضعوا سلسلة ضخمة تمنع السفن من دخول ميناء القسطنطينية ، وتكفل لهذا الميناء الحماية من هجوم

---

(١٤٩) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٣٣ .

(١٥٠) Vasiliev, The Second Russian attack, p. 224.

(١٥١) انظـر : Chronique de Nestor, pp. 22 — 23.

(١٥٢) شرف الزمان المروزى : أبواب عن الصين والترك والهند ، نشر مينورسكى ، ص ٢٣ .

(١٥٣) Vasiliev, The Second Russian attack on Constantinope, p. 180.

أى اسطول معاد[١٥٤] • ويذكر مينورسكى Minorsky أنه وفقا لما جاء فى التاريخ الروسى ، أن الروس عندما هاجموا القسطنطينية فى عام ٩٠٧ م أغلق البيزنطيون الخليج ، وقفلوا المدينة ، ومن المحتمل أن المروزى يشير الى ذلك الحادث[١٥٥] • حقيقة أن المروزى كتب مؤلفه بعد مضى قرنين من الزمان على هذا الحادث الا أنه نقل عن كاتب معاصر للحوادث وهو الجيهانى ذلك الوزير السامانى ، الذى كتب مؤلفه فى بداية القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى فى بخارى ، وكان بذلك معاصرا للاغارات الروسية ، غير أن مؤلفه فقد ، ولم يبق منه سوى ما أوردته بعض المؤلفات الجغرافيــة وخاصــة تلك التى كتبت فى خراسان[١٥٦] •

وقام الروس بشن هجومهم **الثالث**[١٥٧] على مدينة القسطنطينية فى عام (٣٢٩ هـ / ٩٤١ م) فى عهد الامبراطور البيزنطى رومانوس ليكابينوس Romanus Lecapenus (٣٠٧ — ٣٣٣ هـ / ٩١٩ — ٩٤٤ م) وكان هذا الهجوم هو أول عمل قام به ايجور Igor ابن روريك خليفة أولج • وقد أشار الى هذا الهجوم كل من ابن العميد ويحيى الأنطاكى على النحو التالى : « وفى هذه السنة وهى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، غزا الروس القسطنطينية وقاتلهم الروم ، وطردوهم واستظهروا عليهم ،

---

(١٥٤) عن هذه السلسلة وما ذكره الجغرافيون المسلمون عنها انظر : ليلى عبد الجواد ، « القسطنطينية فى ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين » مقال بمجلة المؤرخ المصرى ، عدد يناير ١٩٨٩م ، ص ١٦٥—١٦٦ •

(١٥٥) انظــر : Minorsky, Marvazi, p. 120.

(١٥٦) انظــر : Vasiliev, Second Russian attack, pp 180 — 181.

(١٥٧) لمزيد من التفاصيل عن هذا الهجو مانظر :
Chronique de Nestor, pp. 32 — 33.,
Rybakov, Early Centuries p. 40., Obolensky, The Empire and its Northern Neighbours, p. 510 — 511.,
خرباوى باسيليوس ، تاريخ روسيا ، ص ١٩٠ ، ١٩١ •
الباز ، الدولة البيزنطية ، ص ٤٠٦ — ٤٠٧ ، علية الجنزورى ، العلاقات البيزنطية الروسية ، ص ٧٧ — ٧٩ •

وانصرفوا الى بلادهم »[١٥٨] •

ووقع الهجوم **الـرابع**[١٥٩] للروس على مدينة القسطنطينية فى عام (٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م) ومن أهم المصادر العربية التى فصلت هذا الهجوم يحيى الأنطاكى[١٦٠] ، وفى بداية روايته عرض للظروف التى أدت الى هجـوم الروس على القسطنطينية فذكر أن البلغار انتهزوا فرصة انشغال الامبراطور البيزنطى نقفور فوكاس بحروبه مع المسلمين ، وأغاروا على الأراضى البيزنطية المجاورة لهم ، وعاثوا فيها فسادا ، فتوجه نقفور لقتالهم ، وفى نفس الوقت عقد صلحا مع الروس حتى لا يقاتل فى جبهتين وليكون الروس عونا له فى قتاله للبلغار وقاتل الروس البلغار وانتصروا عليهم واستولوا على مدينتهم طلسترا أو (سلستريا) Silistria وهى دار ملكهم — كما يذكر يحيى الأنطاكى — وأوقعوا فى أسرهم اثنين من أولاد صمويل ملك البلغار •

ويتابع يحيى الأنطاكى روايته فيذكر أنه بعد هزيمة الروس للبلغار واستيلائهم على دار ملكهم ، أصبحوا على مقربة من الأراضى البيزنطية فزاد طمعهم فيها • وفى عام (٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م) تقدم الأمير الروسى سفياتوسلاف (٩٦٤ هـ — ٩٧٢ م) الى الحدود البيزنطية فى طريقه الى القسطنطينية بحجة الأخذ بثأر الامبراطور نقفور ، ويقـول يحيى

---

(١٥٨) انظر ابن العميد ، تاريخ المسلمين نشر زبيل ، ص ١٠٠ ، يحيى الانطاكى : تاريخه ، طبعة بيروت ١٩٠٥ ، ص ٩٨ •

(١٥٩) عن هذا الهجوم انظر :

Chronique de Nestor, p. 55., Runciman, The First Bulgarian, pp. 205 — 206.,

عمر كمال توفيق ، مقدمات العدوان الصليبى ، الامبراطور يوحنـا تزيمسكس وسياسته الشرقية ، الاسكندرية ١٩٦٦ م ، ص ٤١ — ٤٤ •
الباز العرينى ، الدولة البيزنطية ، ص ٥٠٦ — ٥٠٨ ، ٥٢٥ — ٥٣٧ ،
علية الجنزورى : العلاقات البيزنطية الروسية ، ص ١٠٣ — ١٠٧ •

(١٦٠) يحيى الانطاكى : تاريخه ، بيروت ١٩٠٥ م ص ١٣٨ ، ونشر نازيليف فى : Patrologia Orientalis, T. XVIII, p. 813, 833.

الأنطاكى : « واتصل بابن الشمشقيق[161] أن الروس الذين كان نقفور سالمهم ووافقهم على غزو البلغار معولين على قصده ومحاربته والمطالبة بثأر نقفور »[162] .

ويستمر يحيى الأنطاكى فى روايته فيذكر أنه بعد أن علم ابن الشمشقيق بهجوم الروس ، أعد قواته وتوجه نحوهم ، وحاصرهم فى مدينة طلسترا — التى استولوا عليها من البلغار — وظل ابن الشمشقيق محاصرا لهم ومقاتلا اياهم مدة ثلاث سنوات ، اضطر بعدها ملك الروس أن يطلب من ابن الشمشقيق الصلح على أن يؤمنه ومن معه ويسمح لهم بالخروج من المدينة والعودة الى بلادهم ، فقبل ابن الشمشقيق عقـد الصلح ، وتسلم من ملك الروس المدينة وما ورائها من حصون كان الروس قد استولوا عليها ، كما تسلم منه ولدى صمويل ملك البلغار ، ثم عاد الى القسطنطينية[163] . وعلى هذا تنتهى رواية يحيى الأنطاكى حول هجوم الروس على القسطنطينية فى عام ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م . ويلاحظ على هذه الرواية ما يلى :

أولا : يذكر يحيى الأنطاكى أن مدينة طلسترا هى عاصمة البلغار ودار ملكهم ، ولكن كانت مدينة برسلاف Preslav هى عاصمة البلغار وهى التى نجح الروس فى الاستيلاء عليها ، أما طلسترا أو سلسترا Silistra — التى تقـع على الدانوب — فكانت العاصـمة الثانية للبلغار[164] . كذلك عندما بدأ ابن الشمشقيق (أو حنا تزيمسكس)

—

(١٦١) ابن الشمشقيق هو لقب ليوحنا الأول زيمسكس (٩٦٩ — ٩٧٦ م) وهى كلمة ارمنية تعنى قصير القامة . وهو الذى قتل نقفور واستبد بالحكم من بعده . انظر ابن العبرى ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٢٩٤ ، حاشية ١ .

(١٦٢) يحيى الانطاكى ، ص ١٣٨ ، بيروت ١٩٠٥ م ،
Patrologia Orientalis, vol. XVIII, p. 833,

(١٦٣) يحيى الانطاكى ، ص ١٣٨ ،
Patrolorgia Orientalis, vol. XVIII, p. 833.

(١٦٤) انظر : Runciman, The First Bulgarian Empire, p. 205.,
عمر كمال توفيق ، مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٤٢ ، البـاز العرينى ، الدولة البيزنطية ، ص ٥٣٣ .

هجومه على الروس بدأه أيضا بالاستيلاء على العاصمة البلغارية برسلاف أما مدينة طلسترا فكانت المدينة التى احتمى بها الأمير الروسى سفياتوسلاف ، واتخذها قاعدة لمقاومة البيزنطيين[١٦٥] .

ثانيا : يذكر يحيى أن قتال تزيمسكس للروس استغرق ثلاث سنوات غير أن تاريخ نسطور يذكر أن الهجوم انتهى فى يوليو من عام ٩٧١ م بتوقيع الاتفاق بين الطرفين ، وبالتالى فقتال تزيمسكس للروس لم يستغرق الأعوام الثلاثة التى ذكرها يحيى الأنطاكى[١٦٦] .

وشن الروس هجوما **خامسا** على القسطنطينية فى عام ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م وكان هذا الهجوم بسبب مقتل أحد كبار التجار الروس بمدينة القسطنطينية ، فشكى التجار الروس المقيمين بها لأميرهم فلاديمير مونوماخوس Vladimir Monomachus مضايقة البيزنطيين لهم وتعسفهم فى معاملتهم ، لذلك اتخذ فلاديمير من مقتل هذا التاجر الروسى ذريعة للهجوم على القسطنطينية بحملة برية وبحرية[١٦٧] .

وعرض ابن الأثير لهذه الحملة فذكر : « وفى هذه السنة أى ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م ، ورد الى القسطنطينية عدد كبير من الروس فى

---

(١٦٥) انظر :

Pares, A History of Russia, p. 54., Runciman, The First, p. 209.,

عمر كمال توفيق ، مقدما تالعدوان الصليبى ، ص ٤٢ — ٤٣ ، خرباوى ، تاريخ روسيا ، ص ٢٥ .

(١٦٦) انظر : Chroniqne de Nestor, pp. 55 — 59.

وعن الفترة التى استغرقتها حملة حنا تزيمسكس انظر :

Anastasijevic, « Les indications Chronologique de Yahya relatives á la guerre de Tzimiscês Contre les Russes » dans Melangs ch. Diehl, Paris 1930, pp. 2 — 5.

(١٦٧) لمزيد من التفاصيل عن هذه الحملة انظر :

Chronique de Nestor, pp. 130 — 131,

اسد رستم ، الروم ، ج ٢ ، ص ٦٨ ، علية الجنزورى ، العلاقات البيزنطية الروسية ، ص ١٦٦ — ١٧٠ .

البحر ، وراسلوا قسطنطين ملك الروم بما لم تجريه عاداتهم ، فاجتمعت الروم على حربهم ، وكان بعضهم قد فارق المراكب الى البر ، وبعضهم فيها ، فألقى الروم فى مراكبهم النار ، فام يهتدوا الى اطفائها ، فهلك كثير منهم بالحرق والغرق ، وأما الذين على البر فقاتلوا ، وأبلوا ، وصبروا ثم انهزموا »(١٦٨) .

وعن المصير الذى آل اليه الروس يذكر ابن الأثير : « من استسلم أولا استرق وسلم ، ومن امتنع ، حتى أخذ قهرا قطع الروم ايمانهم ، وطيف بهم فى البلد ، ولم يسلم منهم الا اليسـير ... وكفى الروم شرهم »(١٦٩) .

وهكذا أشارت المصادر العربية الى الهجمات العديدة التى شنها الروس على العاصمة البيزنطية ، ومما تجدر الاشارة اليه أنه نتيجة لهذه الهجمات بدأ يظهر نوع من الاحتكاك بين الروس وبيزنطه ويظهر ذلك من خلال الاشارات العديدة التى عرضتها المصادر العربية لدخول الروس دائرة الجيش البيزنطى والعمل فى الحرس الامبراطورى فقد اسـتخدم البيزنطيون الروس فى معاركهم واسـتعانوا بهم فى قتال أعدائهم ، بل وفى القضاء على الفتن والثورات الداخلية التى تعرضت لها بلادهم .

فقد حدث أن تعرضت الدولة البيزنطية لفتنة داخلية قام بها برداس فوقاس ، وأجبرت هذه الفتنة الامبراطور البيزنطى باسـيل الثانى (٩٧٦ — ١٠٢٥ م) على الاستعانة بالروس لما اتصفوا به من كفاءة عسـكرية عالية ، وطلب الامبراطور العون من الأمير الروسى فلاديمير فلبى فلاديمير ندائه وأرسل اليه على الفور فرقة من الشماليين الروس قوامها ستة آلاف جندى ، استطاع باسيل الثانى بمساعدتها القضاء على ثورة برداس فوقاس وقد فصل لهذا الأمر كل من أبى شجاع

---

(١٦٨) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ، ص ٥٢١ .
(١٦٩) ابن الاثير ، نفس المصدر والجزء والصفحة .

ويحيى الأنطاكى وابن الأثير — على نحو ما سنرى[١٧٠] • ومنذ ذلك الحين أصبح الروس يشكلون قوة أساسية فى الجيش البيزنطى ، بل وأصبحوا من أهم عناصره •

ومنذ القرن الرابع الهجـرى / العاشر الميـلادى بدأت الدولة البيزنطية تستخدم الروس فى جيشها فيذكر المسعودى : « انه قد دخل كثير منهم (أى من الروس) فى وقتنا هذا (أى عصر المؤلف القرن ٤ هـ / ١٠ م) فى جملة الروم ••• فشحنوا بهم كثيرا من حصونهم التى تلى الثغور الشامية ، وجعلوهم بازاء برجان وغيرهم من الأمم المتأبدة لهم والمحيطة بملكهم »[١٧١] •

واشترك الروس فى كثير من الحملات التى خاضتها بيزنطة ضد المسلمين فى بلاد الشام وفى آسـيا الصـغرى ، فاشتركوا فى قتال الحمدانيين ، وفى ذلك تذكر المصادر العربية[١٧٢] : انه فى عام ٣٤٣ هـ / ٩٥٤ م غزا سيف الدولة الحمدانى بلاد الروم ، فقتل وأسر وسبى وغنم ، وكان من بين القتلى قسطنطين ابن الدمستق ، فجمع الأخـير عساكره من الروم والروس والبلغار وغيرهم ، وقصد الثغور لقتال سيف الدولة — كذلك جاء فى ديوان أبى الطيب المتنبى ذكر الروس من بين الفـرق التى استخدمها البيزنطيون فى قتال الحمدانيين اذ يقـول :

---

(١٧٠) انظر ما يلى ص ٥٤ — ٥٥ •

وانظر ايضا : وسام عبد العزيز « الامبراطور باسيل الثانى سفاح البلغار ٩٧٦ — ١٠٢٥ م » مقال بمجلة ندوة التاريخ الاسلامى والوسيط ، العدد الاول (١٩٨٢ م) ، ص ١٧٣ — ١٧٤ ، ١٨٨ • ،

الباز العرينى ، الدولة البيزنطية ، ص ٦٢٠ — ٦٢١ م •

(١٧١) المسعودى ، التنبيه والاشراف ، ص ١٢٢ •

(١٧٢) انظر ، الازدى ، اخبار الدولة الحمدانية ، سورية ١٩٨٥ م ، ص ٣٣ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٨ ، ص ٥٠٨ ، ابن خلدون : العبر ، م ٤ ، ق ١ ، ص ٥٠٨ •

وكيف ترجى الروم والروس هدمها
وذا الطعن أساس لها ودعائم[١٧٣]

واستعان الامبراطور باسيل الثانى (٩٧٦ — ١٠٢٥ م) بالعساكر الروسية أيضا فى حروبه مع الفاطميين فى بلاد الشام ، فيذكر القلانسى : « انه فى عام ٣٨١ هـ / ٩٩١ م سار ملك الروم ... طالبا حلب ... فى ثلاثة ألف فارس وراجل من الروم الروسية والبلغر والخزر »[١٧٤] كذلك استعان البيزنطيون بالروس فى قتال المرداسيين فى حلب ، فتذكر المصادر العربية أن أرمانوس ملك الروم خرج الى حلب ومعه ملك البلغر وملك الروس ... لقتـال صاحبها شـبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس[١٧٥] .

واعتمد البيزنطيون أيضا على الجند الروس فى قتال السلاجقة ، وقد لعب هؤلاء دورا بارزا فى معركة ملازكرد ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م ، فيذكر البندارى عندما عدد الجيش البيزنطى الذى اشترك فى هـذه المعركة « والروم فى ثلثمائة ألف ويزد ما بين رومى وروسى وغزى وقفجاقى ... »[١٧٦] .

وعن الدور الذى لعبه الروس فى هـذه المعركة يذكر أيضـا : أن متملك الروم قد قدم رؤساء مقدمين من الروس فى عشرين ألف فارس ، ومعهم عظيمهم الأصلب ، وصليبهم الأعظم ، وخالطوا بلاد

---

(١٧٣) الواحدى ، شرح ديوان المتنبى ، تصحيح فريدرخ ديتريص ، ص ٥٥٠ .

(١٧٤) ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ م ، ص ٤٣ .

(١٧٥) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة فى ذكر امراء الشام والجزيرة ، جـ ١ ، ق ١ ، تحقيق دومينيك سورديل ، دمشق ١٩٥٣ م ، ص ٤٣ — ٤٤ ، ابن الوردى ، تتمة المختصر فى أخبار البشر ، جـ ١ ، ص ٣٤١ .

(١٧٦) البندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، بيروت ١٩٨٠ م ، ص ٤٠ وانظر أيضا : ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٦٥ ، ابن العـديم ، زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، جـ ٢ ، دمشق ١٩٥٤ م ، ص ٢٤ ، ابن الوردى ، تتمة المختصر ، جـ ١ ، ص ٣٧٣ — ٣٧٤ .

خلاط بالبلاء والسلب ، فخرج اليهم عسكر خلاط ومقدمهم صنداق التركى ... فقتل منهم خلقا كثيرا ، وقاد قائدهم فى القيد أسيفا أسيرا ، فأمر السلطان بجدع أنفه ، وارجاء حتفه »[١٧٧] . يتضح من رواية البندارى أن الروس كانوا يمثلون طليعة ومقدمة الجيش البيزنطى فى معركة ملازكرد أو مانزكرت (٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م) وأنهم شكلوا عنصرا هاما من عناصر الجيش البيزنطى كما اتضح من خلال المصادر العربية .

(١٧٧) البندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٤٠ — ٤١ .
وانظر أيضا : ابن الأثير ، الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٦٥ ، ابن خلدون ، العبر ، م ٣ ، ق ٣ ، ص ٩٧٦ .

نظام الحكم عند الروس :

أشار الكتاب المسلمون الى نظام الحكم عند الروس فذكر كل من ابن رستـه والبكرى انه يأتى على رأس دولة الروس ملك يسمى « خاقان الروس »[1] • ولقب خاقان لقب تركى شرفى لقب به حكام الآفار والخزر وغيرهم ، واستخدمه الروس — كما جاء فى حوليات برتينانى[2] — منذ عام ٨٣٩ م ، وتلقب به أمرائهم منذ أن كانوا يتكلمون السويدية ، ويقيمون على مقربة من نوفجورود[3] •

ومما تجدر الاشارة اليه أن حاكم الروس ظل يحمل لقب خاقان حتى بدايات القـرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، وعندما ارتقى ياروسلاف (١٠١٥ — ١٠٢٦ م) حكم الروس ، استطاع أن يوسع حدود الدولة الروسية ، وتغلب على أعدائه ، لذلك لم يقنع بلقب الأمير الكبير ولا باللقب الشرفى الذى استخدمه معاصروه وهو لقب الخاقان ، ولقب نفسه بلقب قيصر Tsar شأنه فى ذلك شأن الامبراطور البيزنطى نفسه[4] •

وصورت المصادر العربية[5] رسوم ملك الروس على النحـو التالى : كان ملك الروس يعيش فى قصر رفيع كبير أى رحب فسيح ، ومعه فى القصر أربعمائة رجل من صناديد أصحابه وأهل الثقة عنده ،

---

(١) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٤٥ ، البكرى ، جغرافية الاندلس واوربا ، ص ١٥٢ •

(٢) انظر ما سبق ص ٩ •

(٣) انظر بارتولد ، الترك فى آسيا الوسطى ، ترجمة احمد السعيد سليمان ، القاهرة ١٩٥٨ م ، ص ٦١ ،
Rybakov , Early Centruies, p. 30.

(٤) Rybakov, Early Centruies, p. 80.

(٥) ابن فضلان ، رسالة ابن فضلان فى وصف الرحلة الى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة ، تحقيق وتعليق سامى الدهان ، بيروت ١٩٨٧ م ، ص ١٦٥ ، ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، مجلد ٤ ، ص ٢٠٦ ، القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٣٩٤ •

وهؤلاء يموتون بموته ، ويقتلون دونه ، ومع كل واحد منهم جارية تخدمه وتغسل رأسه ، وجارية أخرى يطؤها . وهـؤلاء الأربعمائة يجلسون تحت سريره .

ويبدو أن أصحابه الأربعمائة هؤلاء كانوا يشكلون ما عرف باسم (دروجينا Druzhina) وهى عبارة عن وجاق مؤلف من رجال الحرب الروس ، وكان أعضاؤه بمثابة الحرس الخاص للملك ، وهم مستشاريه فى كل الأمور العامة والخاصة ، ويعتمد عليهم فى ادارة شئون البلاد ، وكانوا يتمتعون بكل ما يتمتع به الملك بلا ميزة له عنهم ، وكان الملك يحترمهم ويجل شأنهم[٦] .

ويصف ابن فضلان سرير ملك الخاقان أو عرشه فيقول : « هو عظيم مرصع بنفيس الجوهر ، ويجلس معه على السرير أربعون جارية لفراشه »[٧] . ويذكر ابن اياس : « ويحيط به أربعون جارية بأيديهن مجامر من ذهب وفضة وهى مطلقة بالبخور الخصالبان »[٨] . وكان ملك الروس — كما يذكر ابن فضلان — « لا ينزل عن سريره البتة ، فاذا أراد قضاء الحاجة يقرب اليه الطشت ، واذا أراد الركوب قدموا دابته الى السرير فركبها منه ، واذا أراد النزول قدم دابته حتى يكون نزوله عليه »[٩] .

وكان ملك الروس يجلس بنفسه للقضـاء وفض المنازعات بين المتخاصمين فتذكر المصادر العربية[١٠] أنه اذا أدعى واحد منهم على

---

(٦) باسيليوس خرباوى ، تاريخ روسيا ، ص ٣٣ ، ولمزيد من التفاصيل عن الدورجينا انظر :

Florinsky, Russia, vol. I, p. 35.

(٧) ابن فضلان ، الرسالة ، ص ١٦٥ ، وانظر ايضا ، القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٣٩٤ ، ياقوت ، معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٢٠٦ .

(٨) ابن اياس ، نشق الازهار ، نشر زيبل ، ص ١١٣ .

(٩) ابن فضلان ، الرسالة ، ص ١٦٦ وانظر ايضا : القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٣٩٤ ، ياقوت ، معجم ، م ٤ ، ص ٢٠٦ .

(١٠) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٤٦ ، المقدسى ، البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٦٦ ، ياقوت ، معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٣٠١ .

آخر دعوى ، يقوم ملكهم بالفصل فى تلك الدعوى ، ويصدر حكما فاذا رضى به الاثنان ، نفذ ، واذا لم يرضيا به ، يأمر ملكهم بأن يتحاكما بسيفهما ، فأى السيفين كان أحد كانت الغلبة له ، وأيهما كان أقدر على صاحبه فله الحق أن يطلب من خصمه ما يريد .

وكان ملك الروس أيضا يتاقى العشر من غنائم الحرب ومن الأرباح التى يحصل عليها رجاله من التجارة ، كما كانت هناك جزية سنوية تدفع له من الفراء وهى عبارة عن رداء فى السنة عن كل ابن أو ابنة[11] .

ويعاون ملك الروس فى ممارسة حكمه خليفـــة ونواب وحكماء ، فبالنسبة لخليفته يذكر ابن فضلان : « وله خليفة يسوس الجيوش ، ويوقع الأعداء ويخلفه فى رعيته »[12] . كذلك كان للملك الروس نواب يحكمون الأقاليم نيابة عنه[13] . هذا الى جانب الحكماء أو الأطباء كما تسميهم المصادر العربية وعن دور هؤلاء يذكر ابن رسته : « ولهم أطباء منهم يحكمون على ملكهم ، شبه أرباب لهم ، يأمرونهم أن يتقربوا بما يريدون الى خالقهم من النساء والرجال والكراع ، واذا حكمت الأطباء ، لم يجدوا بدا من الانتهاء الى أمرهم ، فيأخذ الطبيب الانسان والبهيمة منهم ، فيطرح الحبل فى عنقه فيعلقه فى خشبة حتى تفيض نفسه ، ويقول ان هذا قربان لله »[14] .

ديانـــة الـــروس :

اعتبر عدد من المصادر العربية الروس مجوسا فذكر اليعقوبى « المجوس الذين يقال لهم الروس »[15] وذكر البكرى من بعده « أن

---

(١١) Minorsky (ed), Hudud al - Alam p. 159.

(١٢) ابن فضلان ، الرسالة ، ص ١٦٦ وانظر ايضا القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٣٩٤ ، ياقوت ، معجم ، م ٤ ، ص ٢٠٦ .

(١٣) Rybakov, Early Centuries, p. 30.

(١٤) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٤٦ .

(١٥) اليعقوبى ، كتاب البلدان ، ص ٣٥٤ .

الروس أمة مجوسية »[١٦] كذلك ذكر أبو طالب الدمشقى « ان الروس كانوا يدينون بالمجوسية »[١٧] . ومن المعروف أن اسم المجوس كان يطلق على أهل الشمال ، ولكن لا يعرف على وجه التأكيد لماذا أطلق العرب على الروس هذه التسمية هل يشيرون بها الى بعض عاداتهم كاحراق الموتى ؟[١٨] أم لما اعتاده أهل الشمال عامة من اشعال الحرائق فى البلاد التى يستولون عليها أما للاستئناس بها ليلا أو للتدفئة ، مما جعل المسلمين يتصورون ويعتقدون أنهم مجوس وعبدة للنار[١٩] .

على أن ما ذكره شاهد عيان وهو ابن فضلان يؤكد أن عقيدة الروس كانت تقوم على الوثنية وتصديق الخرافات ، اذ كان الروس يقيمون أنصبة لآلهة مختلفة على التلال والمرتفعات ، وهذه الأنصبة من الخشب وتتخذ صور الانسان ، وكانوا يستشفعون اليها ، ويتضرعون ويتقربون ويتصدقون لها ، ويقدم ابن فضلان صورة حية لذلك فيذكر : أن كل واحد منهم يخرج ومعه خبز ولحم وبصل ولبن ونبيذ حتى يوافى خشبة طويلة منصوبة .. لها وجه يشبه وجه الانسان ، وحولها صور صغار ، قد نصبت فى الأرض ، فيوافى الى الصورة الكبيرة ويسجد لها ، ثم يقول لها يارب .. ويتضرع اليها ويطلب منها أن تقضى حاجته التى جاء من أجلها[٢٠] .

أما عن الصور الصغار فيعتبرهم الروس نساء ربهم وبناته وبنوه ويستشفعون بهم ويتضرعون اليهم حتى تقضى حاجاتهم ، وعندما تقضى حاجة الواحد منهم يكافىء ربه بأن « يعهد الى عدة من الغنم أو البقر ، فيقتلها ويتصدق ببعضها ، ويحمل الباقى فيطرحه بين يدى

---

(١٦) البكرى ، المسالك ، نشر زبيل ، ص ٨١ .
(١٧) أبو طالب الدمشقى ، نخبة الدهر ، ص ٢٦٢ .
(١٨) انظر ما يلى ص ٦٥ — ٦٦ .
(١٩) حسين مؤنس ، غارات النورمانيين على بلاد الاندلس . ص ٢٤ وانظر ايضا :
سعيد عاشور ، اوربا العصور الوسطى ، جـ ١ ، ص ٢٤٤ .
(٢٠) ابن فضلان ، الرسالة ، ص ١٥٢ — ١٥٣ .

تلك الخشبة الكبيرة والصغار التى حولها ، ويعلق رءوس الغنم أو البقر على ذلك الخشب المنصوب فى الأرض »(٢١) .

وهكذا يتضح من خلال رواية ابن فضلان أن عقيدة الروس كانت الوثنية ، وأنهم لم يكونوا مجوسا . وأكد ذلك ما ذكره نسطور فيما يتعلق بوثنية الأمير الروسى فلاديمير (٩٧٨ — ١٠١٥ م) الذى كان يضع أمام قصره صور جميع آلهة السلاف ، وعندما كان يحتفل بالانتصار على عدو له ، كان يقوم بتقديم ما يقرب من الألف شخص من الأحياء كأضاحى وقرابين لآلهته هذه ، وذات مرة رفض أحد الأشخاص أن يقدم ابنه للآلهة قائلا : « لست الها بل أنت قطعة من الخشب »(٢٢) .

ويؤكد صحة رواية ابن فضلان بشأن وثنية الروس كذلك ما ذكره المؤرخ والامبراطور البيزنطى قسطنطين السابع بورفيرجينيتوس ، عندما تحدث عن بعض عادات الروس الوثنية وهم فى طريقهم بالتجارة الى القسطنطينية — من انهم بعد أن يعبروا جنادل نهر الدينبير السبعة ، ينزلون فى جزيرة القديس جريجورى St. Gregory حيث توجد شجرة بلوط ضخمة يتعبدون اليها ، ويقدمون لها القرابين ، ويضحون بالديوك والسهام والخبز واللحم أو أى شىء يملكه الفرد منهم ، كما هى عاداتهم ، كما يلقون أيضا بعدد كبير من الديوك اما لذبحها أو أكلها أو لتركها حية »(٢٣) .

ولم يظل الروس على وثنيتهم اذ سرعان ما أخذت المسيحية طريقها اليهم بجهود الدولة البيزنطية وكنيستها الأرثوذكسية ، فقد

---

(٢١) لمزيد من التفاصيل انظر : ابن فضلان ، الرسالة ، ص ١٥٤ .

(٢٢) عن وثنية فلاديمير انظر :

Chronique de Nestor, p. 64 stq.

Pares, A History of Russia, p. 56., Fedolov, « Le baptême de Saint Vladimir et la Conversion de la Russie », dans Irênikon, T. XV (1938) pp. 418.

(٢٣) قسطنطين السابع ، عن الادارة الامبراطورية ، الترجمة العربية ، ص ٦٢ .

قامـت بيزنطـة بمحاولات عدة لادخال الروس حظـيرة الـديانة المسيحية[٢٤] •

وفصلت المصادر العربية وعلى رأسها يحيى الأنطاكى وأبى شجاع وابن الأثير[٢٥] لدخول المسيحية بلاد الروس ، واعتناقهم لها ، واتخاذهم اياها دينا ومذهبا •

وتبـدأ رواية يحيى الأنطاكى بالحديث عن تمرد برداس فوقاس Bardas Phocas حاكم أنطاكية (٩٨٦ — ٩٨٧ م) واستيلائه على معظم الأراضى البيزنطية ، ووصوله الى خريصوبولى (خريسوبوليس) مما اضطر الامبراطور البيزنطى باسل الثانى الى أن يراسل ملك الروس — وهم أعداءه — ويطلب منه المساعدة فى القضاء على تمرد برداس فوقاس ، فلبى ملك الروس طلبه — كما يذكر يحيى الأنطاكى — وعقدت بينهما مصاهرة وتزوج ملك الروس أخت الامبراطور ، بعد أن اشترط عليه الأخير أن يتعمد هو وسائر أهل بلاده • ويتابع يحيى روايته فيذكر أن باسل أرسل فيما بعد مطارنة وأساقفة عمدوا ملك الروس وجميع أهل بلاده ، ثم أرسـل اليه أخته ، فبنت الكثير من الكنائس فى بلاد الروس • وبعد أن استقر أمر الزواج ، أقبلت جيوش الروس وانضمت الى قوات الامبراطور باسل الثانى (٩٧٦ — ١٠٢٥ م) وخرجت معه

---

(٢٤) لمزيد من التفاصيل عن تلك المحاولات انظر :

Michel De taube, Nouvelles recherches, (1957) pp. 23 — 25, (1958) pp. 10 — 12, Chronique de Nestor pp. 47 — 50, Rambaud, Histoire de la Russie, pp. 44 — 49., Obolensky, Byzantine Commonwealth, pp. 189 — 90.

عليه الجنزورى ، العلاقات البيزنطية الروسية فى عهـد الاسرة المقدونية ، ص ٨٨ — ٩٢ •

(٢٥) يحيى الانطاكى ، تاريخه المعروف بصلة تاريخ سـعيد بن بطريق ، بيروت ١٩٠٥ ص ١٦٨ — ١٦٩ ، ابو شجاع ، ذيل تجارب الامم ، نشر آمدروز ، مصر ١٩١٦ م ، ص ١١٥ — ١١٧ •

ابن الاثير ، الكامل فى التـاريخ ، ج ٩ ، بيروت ١٩٧٩ ، ص ٤٣ — ٤٤ •

لقتال برداس فوقاس[٣٦] .

وتكمن أهمية رواية يحيى الأنطاكى هذه فى كونه كان معاصرا للحوادث ، اذ كان مقيما بأنطاكية ومن أهلها الذين تابعوا تقدم جيش برداس أول بأول ، وشهدت مدينتهم المحاربين الروس الذين اشتركوا مع الامبراطور باسل فى حملته ضد برداس فوقاس[٣٧] .

أما عن رواية أبى شجاع حول تنصير الروس فقــد ذكرها تحت حوادث عام (٣٧٥ هـ / ٩٨٥ — ٩٨٦ م) كما يلى : « بعد أن استفحل أمر ورديس (أى برداس) تحصــن باســل وقسطنطين ملكى الروم بالقسطنطينية ••• ثم أرسلا الى ملك الروسية واستنجداه ، فاقترح عليهما الوصلة باختهما فأجاباه الى ذلك ، وامتنعت المرأة من تســليم نفسها الى من يخالفها فى دينها ، وتردد من الخطاب فى ذلك الى ما انتهى الى دخول ملك الروسية فى النصرانية ، وتمت الوصلة معه وهديت المرأة اليه ، فأنجدهما من أصحابه بعدد عديد ، وهم أولو قوة وأولو بأس شديد •••• »[٣٨] ويتابع أبو شجاع روايته فيتحدث عن كيفية التغلب على برداس فوقاس والظفر به[٣٩] .

ويلاحظ أن هناك ثمة اختلاف بين رواية يحيى الأنطاكى ورواية أبى شــجاع فبينما تحــدث يحيى الأنطاكى عن امبراطور واحد فى القسطنطينية تحــدث أبو شــجاع عن الوضــع القائم بالفعــل فى القسطنطينية فى ذلك الوقت هو أنه كان يرتقى عرش الدولة البيزنطية اثنان من الأباطرة وهما باسل الثانى وقسطنطين : هذا من ناحية ومن

---

(٣٦) انظر يحيى الانطاكى ، تاريخه ، ص ١٦٨ — ١٦٩ .

(٣٧) انظر :

Poppe, « The Political Back Ground to the Baptism of Rus » Byzantine — Russian relation between 986 — 89 », In Dum. Oaks Papers, No. 30 (1976) p.205.

(٣٨) أبو شجاع ، ذيل تجارب الامم ، ص ١١٥ — ١١٦ .

(٣٩) أبو شجاع ، نفس المصدر ، ص ١١٦ — ١١٧ .

ناحية أخرى ذكر أبو شجاع كثرة أعداد الروس الذين أرسلهم ملك الروس لمساعدة البيزنطيين فى القضاء على تمرد برداس فوقاس •

أما عن رواية ابن الأثير عن تنصير الروس فذكرها تحت حوادث عام ٣٧٥ هـ / ٩٨٥ — ٩٨٦ م كذلك وجاء فيها : « أن ورديس عبر الخليج ، وحصر القسطنطينية وبها الملكان ابنا أرمانوس وهما بسيل وقسطنطين ، وضيق عليهما الخناق ، فراسلا ملك الروسية واستنجداه وزوجاه بأخت لهما ، فامتنعت من تسليم نفسها الى من يخالفها فى الدين ، فتنصر ، وكان هذا أول النصرانية بالروس ، وتزوجها ، وسار الى لقاء ورديس ، فاقتتلوا وتحاربوا فقتل ورديس »[٣٠] •

ويلاحظ على رواية ابن الأثير أنه ذكر أن اعتناق ملك الروس للمسيحية يعتبر « أول النصرانية بالروس » غير أن هناك محاولات سابقة لجذب الروس الى المسيحية قامت بها الدولة البيزنطية ، وان كانت هذه المحاولة الأخيرة هى أنجح المحاولات[٣١] • كذلك يلاحظ على رواية ابن الأثير أنه ذكر فيها أن ملك الروس خرج بنفسه لقتال برداس فوقاس ، وهذا لم يحدث فقد اكتفى بأن أرسل اليه فرقة من الفرسان الروس تقدر بستة آلاف رجل[٣٢] •

أما عن اسم ملك الروس الذى تم تنصيره فيذكر شرف الزمان المروزى : « أن لهم ملكا قائما بذاته مستقلا بنفسه ، ويلقب ملكهم بولادمير » أى فلاديمير وهو أمير كييف[٣٣] • ويذكر المروزى أيضا أن الروس ما لبثوا أن تحولوا الى الاسلام فقد جاء فى روايته « أن الروس لما دخلوا فى النصرانية ، أغمد الدين سيوفهم ، وانسد دونهم

---

(٣٠) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ٤٣ — ٤٤ •
(٣١) انظر ما سبق ص ٥٤ ، حاشية ٢٤ •
(٣٢) انظر ما سبق ص ٤٥ — ٤٦ •
(٣٣) شرف الزمان المروزى ، أبواب عن الصين والترك والهند ، ص ٢٣ •
وانظر ايضـــا :
Erye, R. « Remarks on Some New Islamic Sources of The Rus » In Byzantion T. 18 (1948) p. 121.

باب الكسب ، وعاد عليهم بالضرر والافلاس ، وضاقت المعيشة عليهم ، فرغبوا فى الاسلام ، ليباح لهم الغزو والجهاد ، وينتعشوا بالعود الى بعض ما كانوا عليه ، فوجهوا رسلا الى صاحب خوارزم ، وهم أربعة نفر •••• فوردت رسلهم خوارزم ، وأدوا الرسالة ، فسر بها خوارزمشاه ، حيث رغبوا فى الاسلام ، فأنفذ اليهم من علمهم شرائع الاسلام فأسلموا »[٣٤] •

وليس هناك ثمة مصدر سابق على المروزى (٦ هـ / ١٢ م) يذكر أى شىء فيما يتعلق بتحول الروس الى الاسلام ، حقيقة أن هناك بعض الامراء والنبلاء الروس تورطوا فى حروب اقطاعية جعلتهم يتمنون أن يهربوا الى أبعد من خوارزم ، وأن يظهروا حتى الرغبة فى اعتناق الاسلام ، الا أنه لا توجد ثمة رواية تتحدث عن تحول الروس الى الاسلام بعد اعتناقهم المسيحية[٣٥] • ولتتضح الصورة تجدر الاشارة الى ما ذكرته الروايات الروسية المعاصرة فيما يتعلق بتحول الروس الى المسيحية ، والاشارة كذلك الى محاولة بلغار الفولجا المسلمين جذب فلاديمير الى الاسلام •

تذكر المصادر الروسية أن فلاديمير أرسل سفارات الى بلغار الفولجا المسلمين والى الخزر اليهود ، والى بلاد اليونان والى الألمان فى عام ٩٨٧ م ، وأن بلغار الفولجا المسلمين حاولوا جذب فلاديمير الى الاسلام ولكن دون جدوى ، لأنه كره الاسلام لسببين الأول وهو الختان والثانى وهو تحريم الخمر وقال : « الخمر لذة الحياة عندنا نحن الروسيين ، ولا معنى للحياة عندما بغير هذه اللذة » • وعلى هذا فقد باءت محاولة بلغار الفولجا المسلمين ادخال فلاديمير فى الاسلام بالفشل ، ومن ثم فليس لرواية المروزى دلائل تؤكد صحتها •

---

(٣٤) المروزى ، أبواب عن الصين والترك والهند ، ص ٢٣ . وانظر ايضا :

Frye, Remarks, pp. 120 — 21.

(٣٥) انظر تعليق مينورسكى على رواية المروزى ، ص ١٢٠ .

كذلك رفض فلاديمير اليهودية ، حتى لا يصبح مصيره كمصير اليهود ويكون وأهله مشتتين فى الأرض ، كما أن فلاديمير لم يجد فى الكاثوليكية ما يغريه ، أما الأرثوذكسية وكنيستها البيزنطية فقد جذبته بأيقوناتها المقدسة وزخارفها من الفسيفساء وطيالس أكليروسها الفاخرة وطقوسها الجليلة الى آخره ، ولهذا قرر فلاديمير اعتناق الأرثوذكسية وتزوج من آنا Anna أخت باسل وقسطنطين أمبراطورى الروم ، وتم تعميده بالفعل[٣٦] •

حياة الروس الاجتماعيـــة :

تعرضت المصادر العربية للحياة الاجتماعية عند الروس ، فأشارت الى صفاتهم الجسمانية والخلقية ، وعرضت لملبســهم ومسكنهم ، وفصلت لعاداتهم وتقاليدهم وطقوسهم الجنائزية هذا الى جانب لغتهم وطريقة كتابتهم •

الصفات الجسمانية والخلقية :

اتصف الروس بطول الوجه والقامة ، واتصفت أجسامهم بالقوة ، أما بشرتهم فكانت شقراء فيذكر ابن فضلان — الذى رأى الروس بعينى رأسه : « لم أر أتم أبدانا منهم كأنهم النخل ، شقر حمر »[٣٧] •

---

(٣٦) لمزيد من التفاصيل انظر :

Chronique de Nestor, pp. 88 — 101.

وانظر ايضا :

Fedolov, le baptême de st. Vladimir, pp. 418 — 26., Poppe, The Political Back Ground pp. 207 — 209., Pares, History of Russia, pp. 56 — 57., Rybakov, Eraly Centuries, pp. 60 — 62. Obolensky, Byzantine Commonwealth, pp. 191 — 198.

فشر ، اوربا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ — ٤٠٧ ، باسيليوس خرباوى ، تاريخ روسيا ، ص ٣٨ — ٣٠ ، ارنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ترجمة حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين واسماعيل النحراوى ، القاهرة ١٩٤٧ م ، ص ٢٠٨ — ٢٠٩ •

علية الجنزورى ، العلاقات البيزنطية الروسية ، ص ١٤١ — ١٤٤ •

(٣٧) ابن فضلان ، الرسالة ، ص ١٤٩ ، وانظر ايضا ابن اياس ، نشق الازهار ، نشر زيبل ، ص ١١٣ •

ويذكر ابن رسته « أن لهم جثث ومنظر »[٣٨] أما ابن سعيد فيذكر : « أن فى وجوههم طول »[٣٩] . وارجع كل من المروزى وأبو طالب الدمشقى البشرة الشقراء وقوة الأجسام التى اتصف بها الروس الى افراط البرد فى بلادهم مع قلة الحرارة[٤٠] .

أما الصفات الخلقية التى اتصف بها الروس فمنها الكرم والجود ، ونصرة المظلوم وأجمل ابن رسته هذه الصـــفات فى عبارته التالية : « ويوسعون على أنفسهم ، ويكرمون أضيافهم ، ويحسنون الى من يلوذ بهم من الغـــرباء ، وكل من ينتابهم ، ولم يســـوغوا أحد منهم اهتضامهم ، ولا الجور عليهم ؛ وكل من أقدم عليهم بمكروه أو ظلم أعانوهم ودفعوا عنهم »[٤١] واتصف الروس كذلك بالشجاعة والبسالة والاقدام فيذكر ابن رسته : « ولهم بسالة فاذا نزلوا بساحة قوم ، لم ينصرفوا عنهم دون أن يهلكوهم »[٤٢] ويذكر المروزى « هم أناس أقوياء أشداء ... بسالتهم ونجدتهم معروفة ، حتى أن واحدا منهم يوازى عدة من جميع الأمم »[٤٣] .

اتصف الروس أيضا بصفات غير طيبة من بينها عدم النظافة اذ كانوا كما يقول ابن فضلان : « أقذر خلق الله ، لا يستنجون من غائط ولا بول ، ولا يغتسلون من جنابة ولا يغسلون أيديهم من الطعام »[٤٤] . كما صور ابن فضلان قذرتهم فى موضع آخر على النحو التالى : انهم يغسلون وجوههم ورؤوسهم فى كل يوم بأقذر ماء يكون ، ذلك أن جارية تأتى كل يوم ومعها اناء كبير فيه ماء ، فتدفعه الى مولاها ، فيغسل فيه

---

(٣٨) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٤٦ .
(٣٩) ابن سعيد ، بسط الارض فى الطول والعرض ، ص ١٣٦ ، كتاب الجغرافيا ، ص ٢٠٣ .
(٤٠) المروزى ، أبواب عن الصين والترك والهند ، ص ١٤ — ١٥ ، أبو طالب الدمشقى ، نخبة الدهر ، ص ٢٧٥ .
(٤١) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٤٥ — ١٤٦ .
(٤٢) ابن رسته ، نفس المصدر ، ص ١٤٦ .
(٤٣) المروزى ، أبواب عن الصين ، ص ٢٣ .
(٤٤) ابن فضلان ، الرسالة ، ص ١٥١ .

يديه ووجهه وشعر رأسه ، ثم يسرحه بالمشط فى هذا الماء ، ثم يمتخط ويبصق فى نفس الاناء ، واذا ما فرغ ، تحمل الجارية الاناء الى من بجانبه فيفعل مثل فعل صاحبه ، وهكذا تدور الجارية بالاناء على جميع من فى البيت ، وكل واحد منهم يتمخط ويبصق ويغسل وجهه وشعره فيـــه[٤٥] .

اتصف الروس أيضا بالغدر وقلة الأمانة وعدم الوفاء فيذكر ابن رسته : « ولا يبرز أحدهم لقضاء حاجته وحده انما يصحبه ثلاثة من رفقائه ، يتحارسونه بينهم ، ومع كل واحد منهم سيفه لقلة أمانتهم والغدر الذى فيهم ، فان الرجـــل اذا كان له قليل مال طمع فيه أخوه وصاحبه الذى معه أن يقتله ويسلبه »[٤٦] .

ويبدو أن البرودة المفرطة أثرت على أخلاق الروس ، كما أثرت على أجسامهم ، اذ يذكر أبو طالب الدمشقى : « أن هــؤلاء لافراط البرد ، وبعد الشمس ، ساءت أخلاقهم ، وقست قلوبهم ... وقل من يوجد فيهم له فطنة بل الحيوانية غالبة عليهم والشهوة والغضب وحدة النفس »[٤٧] . يتضح من هذا أن المناخ والبيئة كانا لهما تأثير كبير على سلوكيات الروس وصفاتهم سواء كانت جسمانية أم خلقية .

المســـكن :

اتخذ الروس بيوتا من الخشب فيذكر ابن فضلان « ويبنون بيوتا كبارا من الخشب »[٤٨] وكان البيت الواحد يسكنه عدد كبير من الروس يتراوح ما بين عشر وعشرين شخصا ، ولـــكل واحد منهـــم سرير

---

(٤٥) ابن فضلان ، نفس المصدر ، ص ١٥٢ . وانظر ايضا : ياقوت ، معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٣٠٣ .

(٤٦) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٤٦ .

(٤٧) أبو طالب الدمشقى ، نخبة الدهر ، ص ٢٧٥ .

(٤٨) ابن فضلان ، الرسالة ، ص ١٥١ ، وانظر ايضا : ياقوت ، معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٣٠٣ .

(أى مقعد) يجلس عليه[٤٩] .

الملبـــس :

كان لباس الروس كما وصفته المصادر العربية عبارة عن سراويل يسترون بها الجزء الأسفل من الجسم ، وكانت هذه السراويل تصنع من القطن كما يذكر صاحب كتاب حدود العالم[٥٠] ، وكانوا يخيطونها ويشمرونها أو يرفعونها فـــوق الركبة فيذكر ابن رسته : « أن لهم سراويلات وقد اتخذ الواحدة منها من مائة ذراع ، اذ لبسها اللابس منهم جمعها على ركبتيه وشدها عندهما »[٥١] كذلك يذكر ابن فضلان أن الروس « لا يلبسون القراطق[٥٢] ولا الخفاتين[٥٣] ، ولكن يلبس الرجل منهم كساء يشتمل به على أحد شـــقيه ويخرج احدى يديه منه »[٥٤] ويبدو أن هذا كان لباس الروس العادى ، لأن ابن فضلان عاد وذكر — فى معرض حديثه عن موت روسى جليل من طبقة الأغنياء : « أنهم كانوا يلبسونه سراويل ... وخفا وقرطقا وخفتان ديباج له أزرار ذهب ، ويجعلون على رأسه قلنسوة ديباج »[٥٥] . يتضح من هذا أن الروس كانوا يرتدون القراطق وقد أكد ذلك ما ذكره ابن حوقل من أن « لباسهم القراطق الصغار أو القصار ، ولباس الخزر وبلغار

---

(٤٩) ابن فضلان ، نفس المصدر والصفحة ، ياقوت ، نفس المصدر والمجلد والصفحة .

(٥٠) Minorsky (ed), Hudud al - Alam, p. 159.

(٥١) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٤٥ .

(٥٢) القراطق ومفردها قرطق وهو قميص أو معطف قصير يصل الى منتصف الجسم . انظر :

ابن فضلان ، الرسالة ، ص ٨٦ ، حاشية ٦ .

(٥٣) الخفاتين مفردها خفتان ، واستعمله القدماء بما نستعمل اليوم القفطان (أو الجاكت) وهى صدرية تحت الثياب ، انظر ابن فضلان ، الرسالة ، ص ٨٧ ، حاشية ١ .

(٥٤) ابن فضلان ، الرسالة ، ص ١٤٩ .

(٥٥) ابن فضلان ، نفس المصدر ، ص ١٥٨ — ١٥٩ .

وبجناك القراطق التامة من الحرير والقطن والكتان والصوف »[٥٦] .
كذلك كان الروس يرتدون غطاء للرأس من الصوف بذيول يلقونها خلف
رقبتهم لتحميهم من برودة الجو »[٥٧] .

وكان الروس منمقون فى ثيابهم حريصـــين على نظافتها اذ يذكر
ابن رسته : « أن لهم نظافة فى لباسهم ... ويتنوقون فى ثيابهم لأنهم
يتعاطون التجارة »[٥٨] .

حـــلى الروس :

اتخذت نساء الروس أنواعا مختلفة من الحلى منها ما تستخدمها
النساء لتزين أعناقهن ومنها ما تستخدمه لصدورهن . وتمثل الأطواق
الذهبية والفضية أهم أنواع حلى العنق ، واختلف عدد هذه الأطواق
من سيدة لأخرى بحسب ثروة زوجها فيذكر ابن فضلان وهو شاهد عيان
لنساء الروس : « وفى أعناقهن أطواق من ذهب وفضة ، لأن الرجل اذا
ملك عشرة آلاف درهم ، صاغ لامرأته طوقا ، وان ملك عشرين ألفا صاغ
لها طوقين ، كذلك كل عشرة آلاف يزدادها يزداد طوقا لامرأته ، فربما
كان فى عنق الواحدة منهن الأطواق الكثيرة »[٥٩] .

واتخذت نساء الروس — الى جانب الأطواق الذهبية والفضية —
حلى أخرى من الخرز[٦٠] وفى ذلك يذكر ابن فضلان : « وأجل الحلى
عندهم الخرز الأخضر من الخزف الذى يكون على السفن ، يبالغون فيه ،

---

(٥٦) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٣٣٦ ، المسالك ، ص ٢٨٦ ،
وانظر ايضـــا :
الاصطخرى ، مسالك الممالك ، ص ١٣٢ ، الادريسى ، نزهة المشتاق ،
ص ٩١٨ .

(٥٧) Minorsky (ed) Hudud al - Alam, p.159.

(٥٨) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص١٤٥ .

(٥٩) ابن فضلان ، الرسالة ، ص ١٥٠ .

(٦٠) الخرز : ما ينظم فى السلك من الجذع والودع أو من فصوص
الاحجار الكريمة . انظر :
ابن فضلان ، الرسالة ، ص ١٥٠ ، حاشية ٥ .

ويشترون الخرزة بدرهم ، وينظمونه عقودا لنسائهم »[٦١] .

أما عن حلى الصدر فيذكر ابن فضلان : « وكل امرأة منهم فعلى ثديها حقه[٦٢] مشدودة ، أما من حديد واما من فضة ، واما نحاس ، واما ذهب على قدر مال زوجها ومقداره . وفى كل حقه حلقة فيها سكين مشدودة على الثدى أيضا »[٦٣] .

ولم يكن استخدام الحلى قاصرا على النساء دون الرجال فيذكر ابن رسته : « ويتسور الرجل منهم باسورة ذهب »[٦٤] .

الحيـــاة الزوجيـــة :

كانت حياة الروس الزوجية عجيبة ومكشوفة لا حياء فيها ولا عار فيذكر ابن فضلان : « يجتمع فى البيت الواحد العشرة والعشرين والأقل والأكثر ، ولكل واحد سرير يجلس عليه ... فينكح الواحد جاريته ، ورفيقه ينظر اليه ، وربما اجتمعت الجماعة منهم على هذه الحال بعضهم بحذاء بعض ، وربما يدخل التاجر عليهم ليشـــترى من بعضهم جارية فيصادفه ينكحها فلا يزول عنها حتى يقضى اربه »[٦٥] .

عادات الروس :

تحدثت المصادر العربية عن جانب من عادات الروس ومن بينهـــا انهم يرسمون على أجسامهم صور للأشجار والأشكال المختلفـــة من الرأس وحتى القدم وقد صور ابن فضلان ذلك بقوله : « ومن حد ظفر الواحد منهم الى عنقه مخضر شجر وصور وغير ذلك »[٦٦] .

ومن عادات الروس أيضا أن بعضهم يحلق لحيته ، والبعض الآخر

---

(٦١) ابن فضلان ، نفس المصدر ، ص ١٥٠ — ١٥١ .

(٦٢) الحقة وعاء من خشب أو من العاج وغيره . انظر ابن فضلان ، الرسالة ، ص ١٥٠ ، حاشية ١ .

(٦٣) ابن فضلان ، الرسالة ، ص ١٥٠ .

(٦٤) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٤٥ .

(٦٥) ابن فضلان ، الرسالة ، ص ١٥١ .

(٦٦) ابن فضلان ، نفس المصدر ، ص ١٤٩ — ١٥٠ .

يضفرها أو يفتلها مثل أعراف الدواب[٦٧] .

ومن عاداتهم كذلك اذا مرض أحدهم كانوا يقومون بعزله بعيـــدا عنهم ويزودونه بالماء والخبز ، ولا يزورونه أثناء مرضه ويصور ابن فضلان ذلك فى عباراته التالية :

« واذا مرض الواحد ، ضربوا له خيمة ناحية عنهم ، وطرحوه فيها ، وجعلوا معه شيئا من الخبز والماء ، ولا يقربونه ولا يكلمونه بل لا يتعاهدونه فى كل أيام مرضه لا سيما ان كان ضعيفا أو مملوكا ، فان برىء وقام رجع اليهم ، وان مات أحرقوه ، فان كان مملوكا تركوه على حاله تأكله الكلاب وجوارح الطير »[٦٨] .

ويتابع ابن فضلان روايته عن عادات الروس فيذكر أنهم « اذا أصابوا سارقا أو لصا جاءوا به الى شجرة غليظة ، وشدوا فى عنقه حبلا وثيقا ، وعلقوه فيها ، ويبقى معلقا حتى يتقطـــع من المكث بالـــرياح والأمطار »[٦٩] .

طقوس الروس الجنــــائزية :

تعتبر رواية ابن فضلان فيما يتعلق بالطقوس الجنائزية على درجة كبيرة من الأهمية فقد سجل ما شاهده بعينى رأسه ، وفصل لأمر الموت عند الروس تفصيلا بارعا لأنه وقف عليه بنفسه ، فقص ما رأى من موت روسى جليل فذكر : « اذا كان الميت رجلا فقيرا يعملون له سفينة صغيرة ، ويحملونه فيها ويحرقونها . أما اذا كان الميت من الأغنياء فانهم يجعلونه فى قبره ، ويسقفون عليه عشرة أيام حتى يفرغوا من قطع ثيابه

---

(٦٧) ابن حوقل ، المسالك ، ص ٢٨٦ ، صورة الارض ، ص ٣٣٦ ، الادريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٩١٨ ، ابو طالب الدمشقى ، نخبة الدهر ، ص ٢٦٢ .

(٦٨) ابن فضلان ، الرسالة ، ص ١٥٤ — ١٥٥ وانظر ايضا : ياقوت ، معجم ، م ٤ ، ص ٣٠٣ .

(٦٩) ابن فضلان ، نفس المصدر ، ص ١٥٥ .

وخياطتها . ثم يجمعون ماله ، ويجعلونه ثلاث اثلاث ، ثلث لأهله ، وثلث يقطعون له به ثيابا ، وثلث يصنعون به نبيذا يشربونه ، ثم يوقع الاختيار على أحد جواريه لتحرق معه ... واذا كان يوم الحرق شربت الجارية وغنت ، ثم يأتون بسرير يضعونه على ظهر سفينة بوسطها قبة ، ويغطونه بالمضربات الديباج الرومى والمساند الديباج ... ثم يخرجون الميت من قبره ، ويخرجون ما معه من فاكهة وطعام ونبيذ ويلبسونه أفخر الثياب ... ثم يحملونه ويدخلونه الى قبة السفينة ويجلسونه على السرير ... ويجعلون معه النبيذ والفاكهة والريحان كذلك جميع سـلاحه ..

أما الجارية التى تقبل أن تحرق مع سيدها ، فانها تدخـل قبة السفينة التى بها مولاها ، وتدخل معها امرأة عجوز تعرف بملك الموت ، ومعها ستة رجال ، ويقوم هؤلاء بخنقها بحبل وتقطيع أضلاعها ثم يضعونها الى جوار سيدها ، ثم يشـعلون النيران فى السفينة وقبتها ويتركوها حتى تتحول الى رماد ، ثم يخرجون السفينة من النهر ويقيمون مكانها تلا ، وينصبون فى وسطه خشبة كبيرة ، يكتبون عليها اسم الميت ، واسم ملك الروس ثم ينصرفون »[٧٠] .

وتجدر الاشارة الى أن ابن فضلان لم ينفرد بذكر أمر احراق الموتى عند الروس ، بل ذكر ذلك أيضا المسعودى وابن حوقل والاصطخرى وأبو طالب الدمشقى فيذكر المسـعودى وابن حـوقل : « أن الروس قوم يحرقون أنفسهم اذا ماتوا ، ويحترق مع مياسيرهم الجوارى منهم بطيبة من أنفسهن ، كما يفعل الهند وأهل غانة وغيرهم »[٧١] . كذلك يذكر أبو طالب الدمشـقى : « وهـؤلاء يحرقون ملوكهم اذا ماتوا ،

---

(٧٠) لمزيد من التفاصيل انظر :
ابن فضلان ، الرسالة ، ص ١٥٦ — ١٦٥ وانظر ايضا : ياقوت ، معجم ، م ٤ ، ص ٣٠٥ —٣٠٦ .

(٧١) انظر المسعودى ، مروج ، جـ ١ ، ص ١٧٩ ، ابن حوقل ، المسالك ، ص ٢٨٦ ، صورة الارض ، ص ٣٣٦ .
وانظر ايضا الاصطخرى ، مسالك الممالك ، ص ١٣٢ .

ويحرقون معهم عبيدهم ونساءهم ، ومن كان خاصا بهم كالكاتب والوزير والنديم والطبيب »[٧٢] .

يتضح من الاشارات السابقة معرفة المصـــادر الاخرى بعملية احراق الروس لموتاهم ، ولكن يرجع الفضل لابن فضلان فى أنه فصل لعملية الحرق ووصفها وصف شاهد عيان . وأكد المؤرخ الروسى نسطور أمر احراق الروس لموتاهم وذكر أنه بعد أن تتم عملية الحرق يقوم الروس بجمع عظام الميت ويضعونها فى اناء صغير ، ثم يضعون هذا الاناء على عمود على حافة الطريق[٧٣] .

اللغـــة والخـــط :

كان للروس لغة خاصة يتحدثون بها فتذكر المصادر العربية[٧٤] : « أن لهم لسان خاص بهم » . ويبدو أن لغتهم كانت لغة غريبة على نحو ما يذكر ابن اياس[٧٥] .

وقد عالج ابن النديم فى كتابه الفهرست[٧٦] — الخط الذى كتب به الروس لغتهم وعرض لنموذج منه اذ يذكر : « قال لى من أثق بحكايته أن بعض ملوك جبل العتق[٧٧] ، أرسله الى ملك الروسية ، وزعم أن لهم كتابة على الخشب حفرا ، وأخرج الى قطعة من خشب بياض . عليها نقوش لا أدرى أهى كلمات أم حروف مفردات مثل ذلك :

---

(٧٢) أبو طالب الدمشقى ، نخبة الدهر ، ص ٢٦١ .

(٧٣) Chronique de Nestor, p. 10.

(٧٤) ابن حوقل ، المسالك ، ص ٢٨٥ ، صورة الارض ، ص ٣٣٥ ، الاصطخرى ، مسالك الممالك ، ص ١٣١ ، الادريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٩١٨ ، أبو طالب الدمشقى ، نخبة الدهر ، ص ٢٦٢ .

(٧٥) ابن اياس ، نشق الازهار ، نشر زبيل ، ص ١١٣ .

(٧٦) ابن النديم ، الفهرست ، مصر ١٣٤٨ هـ ، ص ٣٠ .

(٧٧) جبل العتق أو القبج : يقصد به جبال القوقاز عنها انظر : المسعودى ، مروج ، ج ١ ، ص ١٧٦ — ١٧٨ ، ابن حوقل ، المسالك ، ص ٢٤٩ ، القزوينى ، عجائب المخلوقات وغرايب الموجودات ، جوتين ١٨٤٩ م ، ص ١٧٠ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، السفر الاول ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٨٥ م ، ص ٨٩ .

حياة الروس الاقتصـــادية :

أولا — الزراعة والرعى :

تجمع المصادر العربية[٧٨] على أن الروس — الذين كانوا يسكنون حول نوفجورود — لم يشتغلوا بالزراعة ولا بالرعى ، وأنه ليس لهم زرع ولا بذر ولا ضرع ، فيذكر ابن رسته[٧٩] — على سبيل المثال : وليس لهم مزارع انما يأكلون مما يحتملونه من أرض الصقالبة » ويذكر فى موضع آخر : « ليس لهم عقار ولا قرى ولا مزارع » .

وأرجعت المصادر العربية أسباب عدم اشتغال الروس بالزراعة والرعى الى البرودة الشديدة الغالبة على أرضهم والتى يصعب معها زراعة أى شىء فيذكر مسكويه : « أن بلادهم شديدة البرودة ، ولا ينبت فيها شجر »[٨٠] ويذكر القزوينى « أن البرد فى بلادهم شديد ، والهواء غليظ والثلج دائم لا يصلح للنبات ولا للحيوان »[٨١] .

ومن ثم فان الروس لم يكن لديهم أى مرعى ، ولم يتيسر لهم القيام بتربية الأغنام والماشية ، اذلك سعوا للعيش فى سلام مع جيرانهم البجناك ، حتى يمكنهم شراء تلك الحيوانات منهم ، خاصـــة وأنهم يفتقرون اليها[٨٢] .

---

(٧٨) انظر : ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، المقدسى ، البدء والتاريخ ، جـ ٤ ، ص ٦٦ ، البكرى ، جغرافية الاندلس وأوربا ، ص ١٥٢ ، ياقوت ، معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٣٠١ .

(٧٩) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٨٠) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ٢ ، ص ٦٦ .

(٨١) القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٤١٦ .

(٨٢) انظر قسطنطين السابع ، الادارة الامبراطورية ، الترجمـــة العربية ، ص ٥٤ .

على أن هذه الحال لم تستمر طويلا ، فبعد أن استقر الروس ، وأقاموا دولة لهم فى وسط أرض الصقالبة ، بدأوا يهتمون بالزراعة والرعى وتربية الماشية ، ويظهر ذلك بجلاء من خلال ما ذكره القلقشندى من أن « الجركس والروس أهل مدن عامرة وجبال مثمرة ، فينبت عندهم الزرع ، ويدر لهم الضرع ، وتجرى الأنهار ، وتجنى الثمار »[٨٣] .

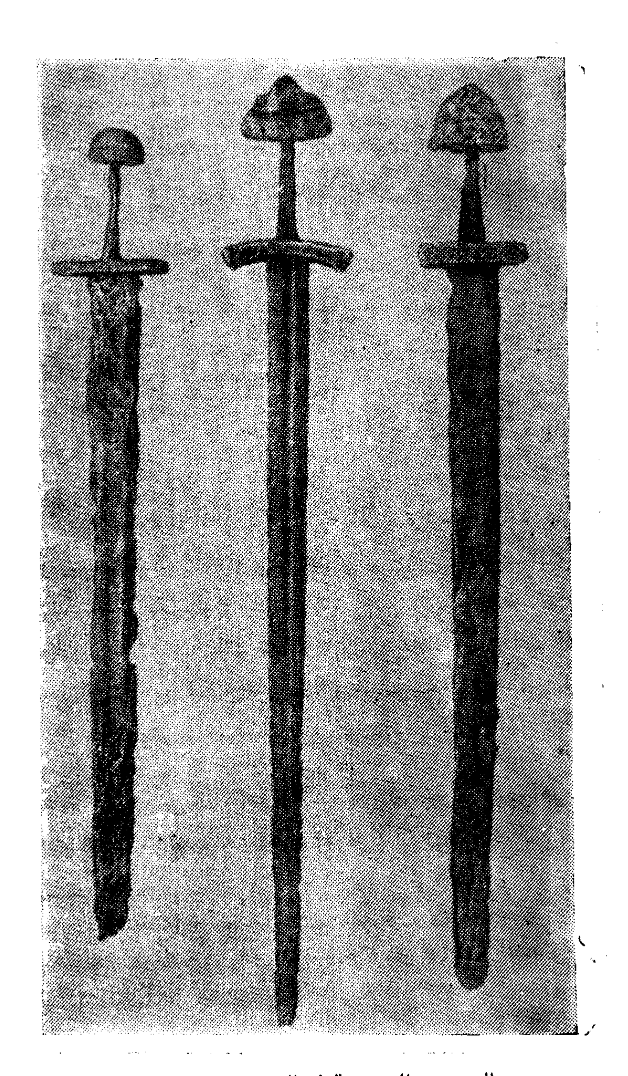
ثانيا — الصناعة والتعدين :

اهتم الروس بالصناعة وبصفة خاصة « صناعة السيوف » اذ كان السيف عندهم من الأهمية بمكان ، فهو الوسيلة الأساسية للعيش والكسب ، وليس أدل على ذلك من أن الأب كان يحرص أشد الحرص على أن يورث ابنه سيفا لا مالا وفى هذا الصدد يذكر كل من ابن رسته والمقدسى : « واذا ولد للرجل منهم مولود قدم اليه سيفا مسلولا ، فألقاه بين يديه ، وقال له « لا أورثك مالا ، وليس لك الا ما تكسبه بنفسك وبسيفك هذا »[٨٤] . ومن هنا تظهر أهمية السيف لدى الروسى كوسيلة للكسب والعيش ، ولهذا فقد اهتم الروس بصناعة السيوف واشتهروا بأنواع معينة منها فيذكر ابن رسته : « أن لهم السيوف السليمانية »[٨٥] ويصف ابن فضلان سيوفهم بقوله : « وسيوفهم مشطبة[٨٦] أفرنجية »[٨٧] .

ويصف البيرونى فى كتابه (الجماهر فى معرفة الجواهر) سيوف الروس ويتحدث عن طريقة صنعها بقوله : « انها تصنع من الشابرقان

---

(٨٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٤٢٢ .
(٨٤) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٤٥ ، المقدسى ، البدء والتاريخ ، جـ ٤ ، ص ٦٦ .
وانظر ايضا : ياقوت ، معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٣٠١ .
(٨٥) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٤٥ .
(٨٦) الشطبة ، طريقة السيف ، اى الواحدة من الخطوط التى فى نصله وجمعها شطب . انظر :
ابن فضلان ، الرسالة ، ص ١٤٩ ، حاشية ٦ .
(٨٧) ابن فضلان ، نفس المصدر ، ص ١٤٩ .



السيوف الروسية فى القرن ٤ هـ — ١٠ م
Rybakov, Early Centuris of Russian History, p. 42.

وهو صلب أبيض يضرب الى الفضية »[٨٨] . ويذكر فى موضع آخر : « وسمعت فى الشابرقان من عدة حكوه — أن الروس والصقالبة يقطعونه قطاعا صغارا ويعجنونها فى الدقيق ويطعمونها البطوط ثم يغسلونها من ذرقها ، ويعيدون هذا الفعل عليها مرات ، ثم يلحمونها بها بعد التغريق فى النار ، ويطبعون منها سيوفهم »[٨٩] .

ويصرح البيرونى بأن الروس تنفرد بصناعة هـذا النوع من السيوف ، ويظهر ذلك من قوله : « ولولا انا نعلم أن الروس لا تنقاد بانفراده لعمل السيوف منه ولا تقاوم الضرب لظننا من سيف أبى الأبيض العبسى القائل ... [٩٠] » .

واتصفت السيوف الروسية بجودتها ومضائها حتى تنافس الناس على شرائها ويعبر مسكويه عن ذلك بقوله : « انها سيوف يتنافس فيها الى اليوم (أى عصر المؤلف ٥ هـ / ١١ م) لمضائها وجودتها »[٩١] . ونظرا لذلك فقد أصبح يضرب بالسيوف الروسية المثل فيذكر العتبى فى وصفه لقتال : « .... واستقاء للأرواح بارشيه الرماح ، واختلاء للرءوس بسيوف كسيوف الروس »[٩٢] .

أما عن التعدين فقد اشتهرت أرض الروس بالعديد من المعادن من أهمها : الذهب والفضة والنحاس والرصاص ، فيذكر ابن الوردى : « وعندهم معدن الذهب »[٩٣] . ويذكر المسـعودى : « وللروس فى أرضهم معدن فضة كبير نحو معدن الفضة الذى بجبل بنجهير من أرض

---

(٨٨) ابو الريحان البيرونى ، الجماهر فى معرفة الجواهر ، حيدر آباد الدكن ١٣٥٥ هـ ، ص ٢٤٨ .

(٨٩) البيرونى ، الجماهر ، ص ٢٥٠ .

(٩٠) البيرونى ، نفس المصدر والصفحة .

(٩١) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٦٦ .

(٩٢) العتبى ، كتاب اليمينى ، نشر زبيل ، ص ٧٩ .

(٩٣) ابن الوردى ، خريدة العجايب ، ص ٨٢ ، وانظر ايضا ابن شبيب الحرانى ، جامع الفنون ، نشر زبيل ، ص ١٠٨ .

خراسان »[٩٤] . أما ابن اياس فيذكر : « ويجلب من عندهم النحاس الأصفر الى بلاد الهند والصين »[٩٥] . وبالنسبة للرصاص يذكر ابن حوقل : ويحمل من ارثا[٩٦] السمور ... والرصاص وبعض زيبق »[٩٧] .

ثالثا — التجارة :

تعتبر التجارة الحرفة الرئيسية التى احترفها الروس فيذكر ابن رسته : « وحرفتهم التجارة فى السمور[٩٨] والسنجاب وغير ذلك من الوبر »[٩٩] . وجاب الروس بتجاراتهم العالم شرقه وغربه ، وقد أوضح ابن خرداذبة الطرق التى سلكها الروس والبلاد التى تاجروا معها فى عباراته التالية :

« فأما مسلك تجار الروس ... فانهم يحملون جلود الخز .... من أقصى صقلبة الى البحر الرومى فيعشرهم صاحب الروم ، وان ساروا فى تنيس نهر الصقالبة ، مروا بخليج مدينة الخزر فيعشرهم صاحبها ، ثم يصيرون الى بحر جرجان فيخرجون فى أى سواحله أحبوا .... وربما حملوا تجاراتهم من جرجان على الابل الى بغداد .. ويدعون أنهم نصارى فيؤدون الجزية »[١٠٠] . يتضح من عبارات ابن خرداذبة أن الروس كانوا يسلكون ثلاث طرق بتجاراتهم وهى :

الطريق الأول : من بلادهم الى البحر الرومى أى البحر المتوسط

---

(٩٤) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ١ ، ص ١٨١ .
(٩٥) ابن اياس ، نشق الازهار ، نشر زبيل ، ص ١١٣ .
(٩٦) عن ارثا انظر ما سبق ، ص ١٤ — ١٥ .
(٩٧) ابن حوقل ، المسالك ، ص ٢٨٦ ، صورة الارض ، ص ٣٣٦ .
(٩٨) السمور وجمعه سمامير وهو حيوان برى يتخذ من جلده فراء ثمينة للينها وخفتها وحسنها وعنه انظر ابن فضلان : الرسالة ، ص ١٢٩ ، حاشية ١٠ ، ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٢٢٦ .
(٩٩) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٤٥ .
(١٠٠) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٥٤ .

وذلك بدون شك عبر نهر الدينيبر ومنه الى البحر الأسود فالبحر المتوسط (أى البحر الرومى) حتى يصلوا الى أسواق بيزنطة ويتاجرون معها ، وكانوا يدفعون نظير ذلك العشر — كما يذكر ابن خرداذبة « ويعشرهم صاحب الروم » — كرسوم جمركية على بضائعهم .

وتدفق التجار الروس على أسواق القسطنطينية فيذكر المسعودى « أن الروس ... يختلفون بالتجارة الى رومية والقسطنطينية »(١٠١) . ويذكر ابن حوقل : « أن الروس لم يزالوا يتجرون ... الى الروم »(١٠٢) . وأكد المؤرخ والامبراطور البيزنطى قسطنطين السابع ما ذكره كل من ابن خرداذبة والمسعودى وابن حوقل ، فذكر أن الروس كانوا يهبطون كل عام الى مجرى نهر الدينيبر بسفنهم التى تعرف باسم « المونوكسيلا Monoxyla »(١٠٣) ، ويعبرون هذا النهر دون أن يعبأوا بما يعترضه من صخور وجنادل ، ورغم الصعوبات والأخطار التى تقابلهم بعد عبوره بسبب اغارات القراصنة من البجناك عليهم . وما أن ينتهوا من عبور الدينيبر حتى يسيروا بمحاذاة الساحل الغربى للبحر الأسود حتى يصلوا الى القسطنطينية »(١٠٤) .

وارتبط الروس مع البيزنطيين بعلاقات تجارية قوية ، وحصلوا على العديد من الامتيازات التجارية ، بل لقد كان لهم حيا فى القسطنطينية نفسها ، وقد ظهر ذلك من خلال نصوص المعاهدات التى عقدت بين الروس وبيزنطه فى أعوام ٩١١ م و ٩٤٥ م وغيرها(١٠٥) .

---

(١٠١) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ١٨٢ .

(١٠٢) ابن حوقل ، المسالك ، ص ٢٨٦ ، صورة الارض ، ص ٣٣٦ . وانظر ايضا : الاصطخرى ، مسالك ، ص ١٣٢ ، ياقوت ، معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٤٠١ .

(١٠٣) عن سفن المونوكسيلا انظر ما يلى ص .

(١٠٤) لمزيد من التفاصيل انظر : قسطنطين السابع ، الادارة الامبراطورية ، الترجمة العربية ، ص ٦٠ — ٦٣ .

(١٠٥) لمزيد من التفاصيل انظر :
هايد ، تاريخ التجارة ، الترجمة العربية ، ص ٨٤ — ٩١ ، لويس ،

الطريق الثانى : الذى سلكه التجار الروس — على نحو ما ذكره ابن خرداذبة فهو : أن الروس يسيرون فى نهر تينس (أى نهر الدون) حتى يصلوا الى بلاد الخزر وعاصمتهم اتل[١٠٦] . واستمر التجار الروس يستخدمون هذا الطريق فيذكر المسعودى أن الروس يختلفون بتجاراتهم ... الى بلاد الخزر »[١٠٧] كما يذكر ابن حوقل : « أن مصب تجارة الروسية على دائم الأوقات كان الى خزران »[١٠٨] .

وكان لتجارة الروس أهمية بالغة عند الخزر اذ تقاضى خاقان الخزر من التجار الروس العشر على جميع ما يجتاز بلاده من بضائعهم وهذا ما ذكره ابن خرداذبة وأكده ابن حوقل فى قوله : « وكان عليهم فيما يوردونه نحو العشر من أموالهم »[١٠٩] .

وكان للروس مستوطنة أو جالية فى بلاد الخزر فيذكر المسعودى عند حديثه عن مدينة (اتل) عاصمة الخزر : « أن فى هذه المدينة خلق من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية ... وأما من فى بلاده من الجاهلية فأجناس منهم الصقالبة والروس وهم فى أحد جانبى هذه المدينة »[١١٠] وتحدث المسعودى عن عادات هؤلاء الروس الذين

القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد عيسى ، القاهرة ١٩٦٠ م ، ص ٢٦٥ ، ٣٣٧ — ٣٣٨ ،
وسام عبد العزيز ، الدولة والتجارة فى العصر البيزنطى الاوسط ، حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت (١٩٨٧ — ١٩٨٨) ، ص ٢٦ — ٤٢ .

(١٠٦) كانت اتل عاصمة الخزر تقع على نهر الفولجا الذى يشقها الى قسمين ، يسمى القسم الشرقى منها باسم النهر (اتل) والغربى باسم (البيضاء) او خزرية او خزران . انظر ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، ص ٢٥٩ ، هامش ٣٣٥ .

(١٠٧) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ١ ، ص ١٨٢ .

(١٠٨) ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص ٢٨١ ، صورة الارض ، ص ٣٣٢ .

(١٠٩) ابن حوقل ، المسالك ، ص ٢٨١ ، صورة الارض ، ص ٣٣٢ .

(١١٠) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ١ ، ص ١٧٨ — ١٧٩ ، وانظر ايضا ، النويرى ، نهاية الارب ،ج ١٤ ، ص ٣٣٥ .

يقيمون فى بلاد الخزر ومن بينها أنهم يحرقون موتاهم ، واذا مات الرجل أحرقت معه امرأته وهى فى الحياة ، وان ماتت المرأة لم يحرق الرجل ، وان مات منهم عزب زوج بعد وفاته وغير ذلك(١١١) . ويذكر المسعودى أيضا أنه كان لهؤلاء الروس قاضيا خاصا بهم « ورسم دار مملكة الخزر أن يكون فيها قضاة سبعة .. واحد منهم للصقالبة والروس »(١١٢) والى جانب ذلك أتاح الخزر لهؤلاء الروس فرصة الاتجار فى هدوء مع العرب سادة المناطق الواقعة وراء القوقاز وبحر قزوين ، كذلك مع التجار المسلمين الذين كانوا يفيدون بتجاراتهم الى اتل عاصمة الخزر(١١٣) .

أما **الطريق الثالث** : الذى سلكه الروس بتجاراتهم فكان عليهم بعد أن يجتازوا بلاد الخزر أن يعبروا بحر جرجان (أى بحر الخزر أو بحر قزوين) ويتاجرون مع المسلمين بموانىء هذا البحر الخاضعة للدولة الاسلامية ، كذلك كانوا يقومون بنقل تجارتهم من جرجان على الابل الى بغداد . وهناك كانوا يدعون — كما يذكر ابن خرداذبة — انهم نصارى ليدفعوا الجزية ، وكانت هذه الجزية تفرض على أهل الذمة اذ جازوا بلاد الاسلام فى تجارة لهم(١١٤) .

واذا كان التجار الروس قد وصلوا بتجاراتهم الى بلاد المسلمين وبلاد العرب وبغداد ، فهل استطاع تجار هذه البلاد أن يذهبوا بتجاراتهم الى بلاد الروس ؟ من الثابت أن التجار العرب والمسلمين عبروا نهر الفولجا ، ووصلوا بسفنهم الى بلاد البلغار ، ولعبت مدينة

---

(١١١) المسعودى ، نفس المصدر ، نفس الجزء ، ص ١٧٩ ، وانظر ايضا ، النويرى ، نفس المصدر والجزء والصفحة .

(١١٢) المسعودى ، نفس المصدر ، نفس الجزء ، ص ١٧٩ — ١٨٠ .

(١١٣) انظر المسعودى ، نفس المصدر والجزء ، ص ١٢٥ ، ١٨٣ — ١٨٥ ، ابن فضلان ، الرسالة ، ص ١٧٢ ، وأنظر أيضا هايد ، تاريخ التجارة ، الترجمة العربية ، ص ٨٣ — ٨٤ .

(١١٤) انظر حسين المسرى ، تجارة العراق فى العصر العباسى ، الكويت ١٩٨٢ ، ص ٣٠٢ .

بلغار — التى تقع أسفل ملتقى نهرى كاما والفولجا — دور الوسيط التجارى بين التجار العرب والروس ، اذ كانت نقطة تتجمع فيهـا منتجات الشمال ، ويسهل على التجار الروس كـذلك الوصول اليها ببضائعهم وخاصة الفراء الذى كان يولع العرب باقتنائه(١١٥) • ويدلل على ذلك ما ذكره القلقشندى من أن « البلاد التى يجلب منها السمور والسنجاب هى بلار (أى بلغـار) ••• وتجار بلادنا لا يتعـدون بلاد البلغار »(١١٦) • وقد دخل ابن فضلان بلاد البلغار ورأى الروس يتجرون فى تلك البلاد ، بل والتقى ببعض التجار الروس قرب بلغار ، وكانوا يحملون معهم الفراء والرقيق والجوارى(١١٧) • كذلك تحدث كل من ابن رسته والمسعودى وابن حوقل عن ذهاب الروس بتجاراتهم الى أسواق مدينة بلغار بصفة خاصة(١١٨) •

ولكن فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى فتح التجار المسلمون الطريق التجارى الى بلاد الروس ، ويعد هذا القرن من أكثر الفترات التجارية ازدهارا بين المسلمين والروس ، فقد نجح المسلمون خلال هذا القرن فى الوصول الى كويابه (كييف) قاعدة الروس والتى كانت تعد من أقرب المدن الروسية الى أراضى المسلمين(١١٩) • ويشير المسعودى الى أن المسلمين كانوا يفدون بتجاراتهم الى كييف بقوله : « وتجار المسلمين • يقصدون دار ملكه (أى ملك أمير كييف) بأنواع

---

(١١٥) انظر هايد ، تاريخ التجارة ، الترجمة العربية ، ص ٧٧ .

(١١٦) القلقشندى ، صبح الاعشى ، جـ ٤ ، ص ٤٦٦ .

(١١٧) ابن فضلان ، الرسالة ، ص ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، وانظر ايضا ياقوت ، معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٣٠٢ ، القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٣٩٣ .

(١١٨) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٤١ ، المسعودى ، مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ١٨١ ، ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٣٣٢ ، المسالك والممالك ، ص ٢٨١ .

(١١٩) ادم متز ، الحضارة الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٢٧٣ .
Minorsky, Hudud al Alam, p. 159.

التجارات »[١٣٠] . كذلك يذكر الأدريسى « ويبلغ تجار المسلمين من أرمينية الى كويابه »[١٣١] . وعلى هـذا فقد ذهب التجار المسلمون بمتاجرهم الى كييف مباشرة ، بل ويذكر أبو حامد الأندلسى ، أنه كان فى قاعدة ملك الروس نفر من المسلمين ، وقد صحبه واحد منهم يسمى عبد الكريم بن فيروز الجوهرى — أثناء عبوره هذه البلاد[١٣٢] .

وقبل الروس فى معاملاتهم التجارية مع المسلمين والعرب النقود العباسية من دراهم ودنانير ثمنا للبضائع التى كانوا يجلبونها فيذكر ابن رسته : « أن الروس كانوا يأخذون النقود الفضية والذهبية لقاء ما يبيعونه للمسلمين من بضائع » وكانوا يبيعون ما معهم ... ويأخذون بالأثمان الصامت[١٣٣] من المال فيشدونه فى أحقابهم »[١٣٤] . وقد تم العثور على كميات كبيرة من النقود العباسية ونقـود السامانيين فى منطقة البحيرات الروسية قوب نوفجورود وفى حوض الفولجا وشمالى نهر الدينيبر ، وفى منطقة بحر البلطيق وخليج فنلندا . وترجع أكثر هذه النقود الى أواخر القرن الثالث الهجرى / التاسـع الميلادى ، وأواسط القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى[١٣٥] ، وتعد هذه الفترة من أكثر الفترات التجارية ازدهارا بين المسلمين والروس ، وذلك

---

(١٢٠) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٣٣ ، وانظر ايضا : ابن حوقل ، المسالك ، ص ٢٨٥ ، صورة الارض ، ص ٣٣٦ ، الاصطخرى ، مسالك ، ص ١٣٢ .

(١٢١) الادريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٩١٧ .

(١٢٢) انظر حسـين مؤنس : تاريخ الجغرافيا والجغـرافيين فى الاندلس ، القاهرة ١٩٨٦ م ، ص ٣٢٣ .

(١٢٣) المال الصامت كناية عن الذهب والفضة والنقود ، أما المـال الناطق فهو الجوارى والغلمان .

(١٢٤) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٤٥ .

(١٢٥) لمزيد من التفاصيل انظر : هايد ، تاريخ التجارة ، ص ٦٤ — ٧٧ ،

عبد العزيز الدورى ، تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابـع الهجرى ، بغداد ١٩٤٨ م ، ص ١٥٣ ،

Pares, History of Russia, p. 42.

لأنه تولى شئون الجزء الشمالى الشرقى من مملكة الاسلام حكام أكفاء هم آل ساسان ، حافظوا على تخوم البلاد ، وضمنوا للتجار الأجانب وخاصة الروس ربحا هادئا(١٢٦) .

وجنى التجار المسلمون أرباحا وفيرة من وراء تجارتهم مع بلاد الروس ، ولكن تلك التجارة لم تكن تخلو من مخاطر ، لأن سلع الشرق التى ينقلها التجار الى تلك البلاد البعيدة كانت تؤخذ على الدوام نيئة ، ولذلك كان تأخير التجارة ولو لفترة وجيزة يصيب التجار بخسائر فادحة ، ويعرض تجارتهم وسلعهم للتلف ، وقد أدت احدى حملات غياث الدين خسرو شاه سلطان السلاجقة على طرابيزون فى عام (٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م) الى تعطيل التجارة مع الروس وبلاد الروم ، فلحق لذلك بالتجار المسلمين أضرارا بالغة وكان هذا الحادث من الأهمية بمكان اذ وقف عنده ابن الأثير فذكر :

« وفيها (أى فى عام ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م) تجهز غياث الدين خسرو .. الى مدينة طرابيزون وحصر صاحبها ... فانقطعت لذلك الطرق من بلاد الروم والروس ... برا وبحرا ... فدخل بذلك ضرر عظيم على الناس ، لأنهم كانوا يتجرون معهم ، ويدخلون بلادهم ، ويقصدهم التجار من الشام والعراق ... فحيث لم ينفتح الطريق تأذوا أذى كثيرا ، فكان السعيد منهم من عاد الى رأس ماله »(١٢٧) .

أما عن صادرات الروس فمن أهمها جلود الخز ، وجلود الثعالب

---

(١٢٦) ادم متز ، الحضارة الاسلامية ، الترجمة العربية ، جـ ٢ ، ص ٢٤٧ .

(١٢٧) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ١٢ ، بيروت ١٩٨٢ ، ص ٢٤٢ .

وانظر ايضا : بارتولد ، تركستان من الفتح العربى الى الغزو المغولى ، ترجمة صلاح عثمان هاشم ، الكويت ١٩٨١ م ، ص ٥٦٤ — ٥٦٥ .

السود[١٢٨] وقد احتكر الروس هذه الأنواع من الجلود اذ يذكر ابن حوقل : « وجلود الخز التى تحمل الى الآفاق لا تكون الا من تلك الأنهار الشمالية التى بناحية بلغار والروس وكويابه ... وأكثر هذه الجلود بل جلها يوجد فى بلد الروس »[١٢٩] . ومن أهم متاجر الروس الى جانب الجلود السمور والسنجاب والقاقم[١٣٠] وغير ذلك من أنواع الوبر كما يذكر ابن رسته[١٣١] والشمع والعسل كما يذكر ابن حوقل[١٣٢] ، والرقيق والجوارى فيذكر ابن فضلان[١٣٣] : « أنهم (أى الروس) يجيئون من بلدهم ... ومعهم الجوارى الروقة » أى الجوارى الجميلات يرقن للناس . ويذكر فى موضع آخر : « أنه اذا أقدم الروس ... برقيق فللملك (أى ملك البلغار) أن يختار من كل عشرة رءوس رأسا »[١٣٤] . هذا فضلا عن السيوف التى اشتهر الروس بصناعتها ، بالاضافة الى الرصاص والزئبق[١٣٥] .

ومقابل هذه السلع والمتاجر كان الروس يحملون الى بلادهم (غراء السمك) من بلاد الخزر[١٣٦] ، و (الكتان) من رومية اذ يذكر

---

(١٢٨) الثعالب السود وخيرها الغليظ الشعر ، واهم ما فى الثعلب جلده ، وهو كريم الوبر وليس فى الوبر اغلى منه ، وهو ضروب فمنه الابيض ومنه الخلنجى . انظر الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، نشره حسن عبد الوهاب ، دمشق ١٩٣٢ م ، ص ١٦ ، حاشية ١ .

(١٢٩) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٣٣٢ ، المسالك ، ص ٢٨١ وانظر ايضا : الاصطخرى ، مسالك ، ص ١٣٠ .

(١٣٠) القاقم نوع من السنجاب ابيض اللون وهو كصورة كلب الماء ، وعنه انظر ابو طالب الدمشقى ، نخبة الدهر ، ص ١٤٧ .

(١٣١) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٤٥ .

(١٣٢) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٣٣٢ ، المسالك ، ص ٢٨١ .

(١٣٣) ابن فضلان ، الرسالة ، ص ١٥١ .

(١٣٤) ابن فضلان ، نفس المصدر ، ص ١٤٥ .

(١٣٥) انظر ما سبق ص ٧٠ .

(١٣٦) انظر ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٣٣٢ ، المسالك ، ص ٢٨١ ، وانظر ايضا الاصطخرى ، مسالك ، ص ١٣٠ .
وعن غراء السمك وكيفية استخراجه من امعاء الاسماك انظر :

أبو حامد الأندلسى أن « مدينة رومية كانت تشتهر بنوع معين من الكتان ، لا يوجد مثله فى الدنيا ، الثوب الواحدماية ذراع وأكثر أوله وآخره ووسطه شىء واحد لا يختلف فيه خيط واحد ، ويعرف عندهم بالكتان الرومى والروسى فى بلاد الصقالبة »(١٣٧) . وحمل الروس أيضا الى بلادهم الخرز الذى يعتبر من أجل الحلى عندهم — على حد تعبير ابن فضلان — فقد كانوا ينظمونه عقودا لنسائهم(١٣٨) .

هجوم المغول على بلاد الروس (٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ — ١٢٢٤ م) :

تحدثت المصادر العربية(١٣٩) أيضا عن هجوم المغول على بلاد الروس ، وفصل ابن الأثير هذا الهجوم ، فحدد أولا تاريخه فذكر : « وأقام التتر بأرض قفجاق مدة ، ثم انهم ساروا سنة عشرين وستمائة الى بلاد الروس »(١٤٠) .

وعن موقف الروس عندما علموا بقدوم المغول الى بلادهم والجولة الأولى بينهم وبين التتار يذكر ابن الأثير : « فسمع الروس وقفجاق خبرهم ، وكانوا مستعدين لقتالهم ، فساروا الى طريق التتر ليلقونهم قبل أن يصلوا الى بلادهم ليمنعوهم عنها ، فبلغ مسيرهم الى التتر ، فعادوا على أعقابهم راجعين ، فطمع الروس وقفجاق فيهم ، وظنوا

= أبو حامد الاندلسى ، تحفة الالباب ، نشر فيرن ، باريس ١٩٢٥ ، ص ١١٥ .

(١٣٧) أبو حامد الاندلسى ، تحفة الالباب ، ص ١٩٦ — ١٩٨ .

(١٣٨) ابن فضلان ، الرسالة ، ص ١٥٠ — ١٥١ وانظر ايضا ما سبق ص ٦٢ — ٦٣ .

(١٣٩) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٣٨٧ — ٣٨٨ ، ابن خلدون ، العبر ، م ٥ ، ق ٢ ، ص ٢٤٦ — ٢٤٧ ، م ٥ ، ق ٤ ، ص ١١٠٧ — ١١٠٨ ، النويرى ، نهاية الارب ، جـ ٢٧ ، ص ٣٢١ — ٣٢٢ .

(١٤٠) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٣٨٧ ، وانظر أيضا : ابن خلدون ، العبر ، م ٥ ، ق ٤ ، ص ١١٠٨ ، النويرى ، نهاية الارب ، جـ ٢٧ ، ص ٣٢٢ .

أنهم عادوا خوفا منهم ، وعجزا عن قتالهم فجدوا فى اتباعهم »[١٤١] .
وظل الروس يطاردوا المغول لمدة اثنى عشر يوما ، وكان قادة المغول يهـدفون من وراء انسحابهم التدريجى هذا أمام الروس ولمـدة اثنى عشر يوما — الى استدراج الروس الى فخ أو كمين ، فبعد أن انقضت هذه المدة ، وتوافر المكان المناسـب للمغول لقتال الروس عطفوا عليهم وفى ذلك يذكر ابن الأثير : « ثم أن التتر عطفوا على الروس وقفجاق ، فلم يشعروا بهم الا وقد لقوهم على غرة منهم ، لأنهم كانوا قد آمنوا التتر ، واستشعروا القدرة عليهم ، فلم تتكامل عدتهم للقتـال الا قد بلغ التتر منهم مبلغا عظيما ، فصبر الطائفتان صبرا لم يسمع بمثله ، ودام القتال بينهم عدة أيام »[١٤٢] .

أما عن نتيجة قتال المغول للروس ، فكانت لصـالح المغول فقد انتصروا على الروس ، وقتلوا منهم الكثيرين وفى ذلك يذكر ابن الأثير : « ثم أن التتر ظفروا واستظهروا ، فانهـزم قفجاق والروس هزيمة عظيمة بعد أن اثخن منهم التتر ، وكثر القتل فى المنهزمين ، فلم يسلم منهم الا القليل ، ونهب جميع ما معهم ، ومن سلم وصل الى البلاد على أقبح صورة لبعد الطريق والهزيمة »[١٤٣] .

ولم يكتف المغول بهزيمة الروس فى ميدان القتال بل تعقبوهم ، يقتلونهم ، وينهبون بلادهم ويخربونها ، مما دفع الروس الى ترك البلاد والذهاب الى بلاد الاسلام اذ يذكر ابن الأثير : « اجتمع كثير من أعيان تجار الروس وأغنيائهم وحملوا ما يعز عليهم ، وساروا يقطعون

---

(١٤١) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٣٨٧ ، النويرى ، نهاية الارب ، جـ ٢٧ ، ص ٣٢٢ .
(١٤٢) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٣٨٧ ، النويرى ، نفس المصدر ، والجزء والصفحة .
وانظر ايضا جروسيه ، جنكيزخان قاهر العالم ، ترجمة خالد أسعد ، دمشق ١٩٨٢ م ، ص ٣٤٦ — ٣٤٧ .
(١٤٣) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٣٨٧ ، النويرى ، نهاية الارب ، جـ ٢٧ ، ص ٣٢٢ .

البحر الى بلاد الاسلام فى عدة مراكب »[١٤٤] .

وكان من المنتظر أن يستمر قادة المغول فى زحفهم على بلاد الروس بعدما حققوه من انتصار عليهم ، ولكنهم اكتفوا بالدرس الذى لقنوه للروس واكتفوا أيضا بهدم بضع مدن روسية ، ثم اتجهوا بعد ذلك الى بلاد البلغار فى أواخر سنة عشرين وستمائة على نحو ما يذكر ابن الأثير[١٤٥] .

وبعد مضى بضع سنوات قام المغول باعادة الكرة ثانية وغزوا بلاد الروس ، وفى هذه المرة نجحوا فى فتحها بأكملها[١٤٦] .

مما سبق يتضح أن رواية ابن الأثير حول غزو المغول لبلاد الروس من أصدق الروايات ، ويرجع ذلك لمعاصرته لهذا الحدث فقد ذكر أنه سمع بهذا الغزو من الروس أنفسهم الذين اعتلوا ظهور مراكبهم ، واتجهوا نحو بلاد المسلمين نجاة بأنفسهم من هجوم التتار[١٤٧] .

---

(١٤٤) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٣٨٨ .

(١٤٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٣٨٨ ، وانظر ايضا : ابن خلدون ، العبر ، م ٥ ، ق ٤ ، ص ١١٠٨ .

(١٤٦) لمزيد من التفاصيل أنظر :
Pares, A History of Russia, pp. 80 — 84., Florinsky, Russia vol. I, pp. 55 — 57,
الباز ، المغول ، بيروت ١٩٨٦ ، ص ١٨١ — ١٨٢ ، فؤاد الصياد ، المغول فى التاريخ ، القاهرة ١٩٧٥ م ، ص ٨٦ — ٨٧ ، فشر ، أوربا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٤١٠ — ٤١٢ ،
خرباوى ، تاريخ روسيا ، ص ٦١ — ٧٠ ، الرمزى ، تلفيق الاخبار ، ص ٣٦٦ — ٣٨٨ ، شبولر ، العالم الاسلامى فى العصر المغولى ، دمشق ١٩٨٢ م ، الترجمة العربية ، ص ٣٥ — ٣٦ .

(١٤٧) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٣٨٨ .

قائمة المصـــادر والمراجـــع

أولا ـــ المصـــادر العربية :

ـــ ابن الأثير (محمد بن محمد بن عبد الكريم ت ٦٣٠ هـ / ١٣٢٢ م)
الكامل فى التـــاريخ
المجلدات من ٨ ـــ ١٢ بيروت (١٩٧٩ ـــ ١٩٨٢ م)

ـــ ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبى ت أواخر القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى)
• كتاب المسالك والممالك ، ليدن ١٨٧٢ م
• كتاب صورة الأرض ، بيروت ١٩٧٩ م

ـــ ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت حـــوالى ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م)
المســالك والممالك ، بريل ١٨٨٩ م

ـــ ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م)
العبر وديوان المبتدأ والخبر
المجلد الأول القسم الأول ، والمجلد الثانى ، القسم الثالث ، المجلد الثالث ، القسم الرابع ، المجلد الرابع ، القسم الرابع ، والمجلد الخامس أقسام ١ ، ٢ ، ٤
بيروت ١٩٨٣ م

ـــ ابن رسته (أبو على أحمد بن عمر ت بين عامى ٣١٠ و ٣٣٧ هـ / ٩٢٢ و ٩٤٨ م)
كتاب الأعلاق النفيسة
المجلد السابع ، ليدن ، بريل ١٩٦٧ م

ـــ ابن سعيد المغربى (أبو الحسن على بن موسى ت ٦٤٠ هـ / ١٢٤٣ م)
بسط الأرض فى الطول والعرض
تحقيق خوان فرنيط خينيس
تطوان ١٩٥٨ م

• كتـــاب الجغرافيا
تحقيق اسماعيل العربى بيروت ١٩٧٠ م

— ابن شداد (عز الدين أبى عبد الله محمد ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م)
الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة
الجـــزء الأول ، القسم الأول
تحقيق دومينيك سورديل
دمشـــق ١٩٥٣ م

— ابن العبرى (غريغوريوس أبى الفرج بن هرون الملطى ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م)
مختصر تاريخ الـــدول
صححه الاب انطون صالحانى اليسوعى
لبنـــان ١٩٨٣ م

— ابن فضلان (ابن العباس بن راشد بن حماد)
رســـالة ابن فضــــلان
فى وصف الرحلة الى بلاد الترك والخـــزر والروس
والصقالبة سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م
حققها وعلق عليها وقدم لها سامى الدهان
بيروت ١٩٨٧ م

— ابن القلانسى (حمزة بن أسد بن على بن محمد ت ٥٥٥ هـ/١١٦٠ م)
ذيل تاريخ دمشق بيروت ١٩٠٨ م

— ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء اسماعيل ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)
البداية والنهاية ، ج ١١ ، بيروت ١٩٨٣ م

— ابن النديم (ت ٣٧٧ هـ احتمال / ٩٨٧ م)
الفهرســـت ، مصر ١٣٤٨ هـ

— ابن الوردى (سراج الدين أبى حفص عمر ت ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م
أو ٨٦١ هـ / ١٤٥٧ م)

خريدة العجايب وفريدة الغرايب
مصر ١٢٧٦ هـ / ١٨٥٩ م

ـ ابن الوردى (زين الدين عمر ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م)
تتمة المختصر فى أخبار البشر
المعروف بتاريخ ابن الوردى
الجزء الأول مصر ١٢٨٥ هـ

ـ أبو حامد الأندلسى الغرناطى (محمد عبدالرحيم ت ٥٦٠ هـ/١١٦٤ م)
كتاب تحفة الألباب ونخبة الاعجاب
نشرة جابريل فيران
باريس ١٩٢٥ م

ـ أبو الريحان البيرونى (محمد بن أحمد ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م)
• كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم
طبعه وترجمه الى الانجليزية رمزى أريت
أكسفورد ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م
• كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر
حيدر أباد الدكن ١٣٥٥ هـ

ـ أبو شجاع (الوزير محمد أبو الحسن)
ذيل كتاب تجارب الأمم (٣٦٩ — ٣٨٩ هـ)
وتليه قطعـة من تاريخ هلال الصـابى الكاتب الى سنة ٣٩٣ هـ
تصحيح هـ.ف آمدروز
مصر ١٩١٦ م

ـ أبو طالب الدمشقى (شمس الدين أبى عبد الله محمد ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م)
نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر
ليبزج ١٩٢٣ م

— أبو الفدا (عماد الدين اسماعيل بن محمد ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)
• تقـــويم البـــلدان
صححه رينود وماك كوكين ديسلان
باريس ١٨٤٠ م
• المختصر فى أخبار البشر المعروف بتاريخ أبى الفدا
جزءان بيروت د.ن

— الأدريسى (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م)
نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق
روما ١٥٤٢ ، نابلى روما ١٩٧٠ م

— الأزدى (على بن ظافر ت ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م)
أخبار الدولة الحمدانية بالموصل وحلب وديار بكر والثغـــور
من كتابه أخبار الدول المنقطعة
تحقيق تميمة الرواف
ســـورية ١٩٨٥ م

— الاصطخرى (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى ت ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م)
كتاب مسالك الممالك
تحقيق محمد جابر عبد الله الحينى
القاهرة ١٩٦١ م

— البكرى (أبو عبيد الله البكرى ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م)
جغرافية الأندلس وأوربا
من كتاب المسالك والممالك
تحقيق عبد الرحمن على الحجى بيروت ١٩٦٨ م

ـ البندارى (الفتح بن على بن محمد)
تاريخ دولة آل سلجوق
بيروت ١٩٨٠ م

ـ الجاحـظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)
التبصر بالتجـارة
نشره وصححه وعلق عليه حسن عبد الوهاب
دمشق ١٩٣٢ م

ـ الحميرى (أبو عبد الله محمد بن محمد ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م)
الروض المعطار فى خبر الأقطار
تحقيق احسان عباس بيروت ١٩٧٥ م

ـ القزوينى (زكريا بن محمد ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م)
• كتاب آثار البلاد وأخبار العباد
جوتين ١٨٤٨ م
• كتاب عجايب المخلوقات وغرائب الموجودات
جوتين ١٨٤٩ م

ـ القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)
صبح الأعشى فى صناعة الانشا
الأجزاء من ١ ـ ٥ ، القاهرة ١٩١٤ ـ ١٩١٥ م

ـ المروزى (شرف الزمان طاهـر)
أبواب عن الصين والترك والهند من كتاب
طبائع الحيـوان
نشره مينورسكى بالعربية مع ترجمة وتعليق بالانجليزية
لنـدن ١٩٤٢ م

ـ المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)
• التنبيه والاشراف
تحقيق عبد الله اسماعيل الصاوى القاهرة ١٩٣٨ م

• مروج الذهب ومعادن الجـوهر
الجزء الأول والثانى تحقيـق محمـد محيى الدين
عبد الحميـد ، بيروت ١٩٨٢ م

— مسكويه (أبو على أحمد بن محمد ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م)
كتاب تجارب الأمم
الجزء الثانى (٣٢٩ — ٣٦٩ هـ)
مصر ١٩١٥ م

— المقدسى (شمس الدين أبى عبد الله محمد ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م)
أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم
ليدن ١٩٦٧ م

— المقدسى البلخى (أبو زيد أحمد بن سهل)
كتاب البدء والتاريخ
الجزء الرابع ، باريس ١٩٠٧ م

— النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م)
نهاية الأرب فى فنون الأدب
جـ ١٤ القاهرة ١٩٤٣ م
جـ ٢٣ تحقيق أحمد كمال زكى ، القاهرة ١٩٨٠ م .
جـ ٢٧ تحقيق سعيد عاشور ، القاهرة ١٩٨٥ م .

— الهمذانى (محمد بن عبد الملك الهمذانى ت ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م)
تكملة تاريخ الطبرى
م ١١ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم القاهرة ١٩٨٢ م

— ياقوت الحمـوى (ابن عبد اللـه الحموى الرومى البغـدادى
ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م)
معجم البـلدان
٨ مجلدات القاهرة ١٩٠٨ م

— يحيى بن سعيد الأنطاكى (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م)
تاريخه أو صلة كتاب سعيد بن بطريق بيروت ١٩٠٥ م
ونشر فازيليف فى
Patrologia Orientalis, Vol. 18, Paris 1924.

— اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م)
كتاب البـلدان
ليدن ، بريل ١٩٦٧ م

ثانيا — المراجع العربية والمعربة :

— آدم متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى
الجزء الثانى ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة
القاهرة ١٩٤٨ م .

— أرنولـد : الدعـوة الى الاسـلام
ترجمة حسن ابراهيم حسـن وعبد المجيـد عابدين
واسماعيل النحراوى
القاهرة ١٩٤٧ م .

— أسد رستم : الروم . جزءان . بيروت ١٩٥٥ — ١٩٥٦ م

— أومـان : الامبراطورية البيزنطية
ترجمة مصطفى بدر القاهرة ١٩٥٣ م .

— بارتولـد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى
ترجمة أحمد السعيد سليمان
القاهرة ١٩٥٨ م
• تركستان من الفتح العربى الى الغزو المغولى
نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم
الكويت ١٩٨١ م

— باسيليوس خرباوى ، تاريخ روسـيا
نيويورك ١٩١١ م

— جروسيه (رينيه) ، جنكيز خان قاهر العالم
ترجمة خالد أسعد عيسى
دمشق ١٩٨٢ م

— حسين على الداقوقى « دولة البلغار المسلمين فى حوض الفولغا »
مقال بمجلة المؤرخ العربى العدد ٢١ لسنة ١٩٨٢ م
ص ١٩١ — ٢٣٠ .

— حسين على المسرى ، تجارة العراق فى العصر العباسى
الكويت ١٩٨٢ م

— حسين مؤنس ، « غارات النورمانيين على الأندلس » مقال بالمجلة التاريخية المصرية ، العدد الأول ، م ٢
(مايو ١٩٤٩ م) ، ص ١٩ — ٧٦ .

— الرمزى ، تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار فى وقائع قزان
وبلغار وملوك التتار ، اورنبورغ
١٩٠٨ م .

— زبيل ، أخبار أمم المجوس من الأرمان وورنك والروس
١٨٩٦ م .

— سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى
الجزء الأول القاهرة ١٩٨١ م .

— السيد الباز العرينى ، • الدولة البيزنطية (٣٢٣ — ١٠٨١ م)
القاهرة ١٩٦٥ م
• المغول بيروت ١٩٨٦ م

— شبولر (بارتولد) ، العالم الاسلامى فى العصر المغولى
ترجمة خالد أسعد عيسى
دمشق ١٩٨٢ م

— عبد العزيز الدورى ، تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى — بغـداد ١٩٤٨ م ٠

— عليه عبد السميع الجنزورى ، العلاقات البيزنطية الروسية فى عهد الأسرة المقدونية
(٨٦٧ — ١٠٥٦ م) ، القاهرة ١٩٨٩ م ٠

— عمر كمال توفيق ، مقدمات العدوان الصليبى
الامبراطـور يوحنا تزيمسكس وسياسـته الشرقية
(٩٦٩ — ٩٧٦) ، اسكندرية ١٩٦٦ م ٠

— فشر هـ ا ل ، تاريخ أوربا العصور الوسطى
الجزء الأول نقله الى العربية
محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العرينى
القاهرة ١٩٦٩ م ٠

— فؤاد عبد المعطى الصياد ، المغول فى التاريخ ، القاهرة ١٩٧٥ م ٠

— لسـترنج ، بلاد الخلافة الشرقية ، ترجمـة بشـير فرنسيس وكوركيس عواد ، بغداد ١٩٥٤ م ٠

— لويس (أرشيبالد) ، القـوى البحـرية والتجارية فى حـوض البحر المتوسط
ترجمة أحمد محمد عيسى
القاهرة ١٩٦٠ م ٠

— محمود سعيد عمران (مترجم) — قسطنطين السابع بورفيروجينيتوس ادارة الامبراطورية ، بيروت ١٩٨٠ م
٠ معالم تاريخ الدولة البيزنطية ، بيروت ١٩٨١ م ٠

— هايد ، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسـطى
ترجمة أحمد محمد رضا القاهرة ١٩٨٥ م ٠

— وسام عبد العزيز فرج ، الدولة والتجارة فى العصر البيزنطى الأوسط من القرن السابع حتى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى
حوليات كلية الآداب / جامعة الكويت
الحولية التاسعة لعام ١٩٨٧ — ١٩٨٨ م •

— « الامبراطور باسيل الثانى سفاح البلغار ٩٧٦ — ١٠٢٥ م »
مقال بندوة التاريخ الاسلامى والوسيط ، العدد الأول (١٩٨٢ م) ، ص ١٦٩ — ٢٠٢ •

ثالثا — المراجـــع الأجنبيـــة :

— M. D. Anastasijevic, « les indictions. Chronologiques de Yahya relatives á la guerre de Tzimisces contre les Russes » dans Mélanges ch. Diehl Vol. I, pp. 1 — 5, Paris 1930.

— Fedolov, « le baptême de Saint Vladimir et la Conversion de la Russie (988 — 1938) », dans Irénikon T. X V (1938) pp. 417—435.

— Florinsky, M, Russia A History an interpretation . Two Vols, New-York 1953.

— Frahn (ed) Ibn Foszlan's, und Anderer Araber Berichte uber Die Russen Altever Zeit. St. Petersburg 1823.

— Frye, R, « Remarks on Some new Islamic sources of the Rus » In Byzantion T. 18 (1948) pp. 119 — 125.

— Grousset, R, L,Empire de Steppes, Paris 1948.

— Jenkins, « The Supposed Russian Attack on Constantinople in 907 » Evidence of the Pseudo, Symeon » In Speculum T. 24 (1949) pp. 403 — 406.

— Leger, L (ed et tran.), Chronique de Nestor, Paris 1884.

— Lewicki T, « Lavoic Kiev — Vladimir d'aprés le geographe Arabe du XIIéme Siecle, al - Idrisi » dans Rocznik Orjentalistyczny, T. 13 (1937), pp. 94 — 105.

— Mawer, A. « The Vikings » In Cam. Med. Hist. Vol. III, pp 309 — 338 Cambridge 1921.

— Michl De Taube, « Nouvelles recherches sur l' histoire Politique et religieuse de l' Europe Orientale á l' epoque de la Formation de l' Etat Russe (IX et X Siécles) ». Dans Istina (1957) pp. 9 — 32, (1958) pp. 8 — 16.

— Minorsky (tr. and Expl.), Hudud al — Alam The Regions of the World a Persian Geography 372 A. H — 982 A. P. London 1937.

— Studies in Caucasian History, London 1953.

— مع نشر باب فى الشدادية من كتاب جامع الدول لأحمد بن لطف الله منجم باشى .

— Obolensky, D. « The Empire and its northern neighbours 565 — 1018 » In Cam. Med. Hist, Vol. IV, Part I, pp. 473 — 517. (1964).

— The Byzantine Commonwealth Eastern Europe, 500 — 1453. Oxford — London 1971.

— Pares, A History of Russia. Methuen — London 1962.

— Poppe, A, « The Political Background to the Baptism of Rus, Byzantine — Russian Relations between 986 — In Dumbarton Oaks Papers No. 30 (1976) pp. 198 — 244.

— Rambaud, A Histoire de la Russie, Paris 1878.

— Runciman, S., A History of the First Bulgarian Empire, London 1930.

— Rybakov, B., Early Centlries of Russian History tr. From the Russian by John weir. Moscow 1965.

— Vasiliev, « The Second Russian Attack on Constantinople », In Dumbarton Oaks Papers, T. 6 (1952) pp. 165 — 224.

المحتـــويات

رقم الايداع ٨٦٠٣ / ١٩٨٩
الترقيم الدولى ٩ — ٠٦ — ٢٣٨ — ٩٧٧

المطبعة الاسلامية الحديثـــة
٤٢ (أ) شارع دار السعادة — الزيتون
القاهرة — تليفون ٢٤٧٥٣٥٢